

رواية لولو
رواية المستحيل

تحدثنا لولو

Looloo

www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المختبرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - مهمة رجل واحد ..

انطلق رنين الهاتف المجاور لقراش (أدهم صبرى) فجأة ، فانزعه من سبات عميق ، وبدا له ذلك الرنين المتقطع كسيل من الرصاصات ، يخترق رأسه ، وينفذ غيرة خلايا مخه بلا رحمة ، فالتقط سماعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول فى صوت خامل متكاسل ، لم يفارقه النوم بعد :

— من المتحدث ؟

تسلل إلى أذنه صوت الرائد (وحيد) ، زميله فى إدارة المختبرات العامة ، وهو يقول فى هدوء :

— كيف حالك يا سيادة المقدم ؟

تطلع (أدهم) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الساعة والنصف صباحاً ، وغمغم فى ضجر :

— فى خير حال يا (وحيد) ، على الرغم من أننى لم أستغرق فى النوم سوى فى السادسة صباحاً ، بعد عودتى من الإدارة ، أى أننى لم أتم سوى ساعة ونصف ساعة منذ صباح أمس .

بدا صوت (وحيد) أقرب إلى الاعتذار ، وهو يغمغم في
خجل :

— أعلم ذلك باسيادة المقدم ، ويؤسفنى أن أقلقت
نومك ، ولكن سيادة اللواء المدير يريدك في مكتبه بسرعة .
كانت العبارة تكفى ليتغير كل ذلك التكاسل والحمول
من جسد (أدهم) ، الذى امتلأ فجأة بنشاط عارم ، وهو
يفادر فراشه ، قائلاً في نبرات قوية :

— أبلغ المدير أننى فى طريقى للإدارة على الفور .

حاول (وحيد) أن يكرر اعتذاره مغمغماً :

— يؤسفنى مرة أخرى أن

ولكن عبارته لم تكتمل أبداً ، فقد كان (أدهم) قد وضع
سماعة الهاتف ..

كان من المستحيل عل من يشاهد (أدهم) ، وهو يفادر
شقته فى الثامنة إلّا الثلث صباحاً ، أن يتصور تلك الحالة التى
كان عليها ، حينما تلقى مكالمة زميله (وحيد) منذ عشر دقائق
فقط ، فقد كانت الحيوية تملأ وجهه ، وتعلن عن وجودها فى
كل خلية من خلاياه ، وكان يبدو شديد الوسامة بوجهه

الحليق ، وشعره الفاحم المصفف فى عناية ، وتلك الخلّة
السوداء الأنيقة ، التى تتأقظ مع قميصه الأبيض الناصع ،
ويخفف من تناقضهما رباط عنقه الرمادى ، الذى يشف عن
ذوق رفيع ..

ولقد زينت وجه (أدهم) ابتسامة جذابة ، زادت من
وسامته ، وهو يلتقى بجاره الأستاذ (جميل) أمام مصنع
البنية ، ويحييه قائلاً :

— صباح الخير يا أستاذ (جميل) .. إنه يوم لطيف .. اليس
كذلك ؟

حدّق الأستاذ (جميل) فى وجهه بدهشة واستكار ، لم
يحاول إخفاءهما ، وهو يقول :

— يوم لطيف ؟! .. إنه من أسوأ أيام فصل الشتاء على
الإطلاق .. إن درجة البرودة تصل إلى خمس عشرة درجة مئوية
على الأكثر ، والمطر ينهمر كالسيول فى الخارج .. كيف يمكن
أن تصف مثل هذا اليوم بأنه يوم لطيف ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يتذكّر ذلك البرد القارس ، الذى
كاد ينخر عظامه يوماً فى معتقل (سيبيريا) ، حيث كانت

درجة البرودة تبلغ الأربعين تحت الصفر (*) ، وقال في هدوء :

— ولكن مناخنا في (مصر) يُعدّ معتدلاً ، بالمقارنة بمناخ
العديد من الدول يا أستاذ (جميل) .. أليس كذلك ؟

مطّ الأستاذ (جميل) شفتيه ، وهو يقول في لهجة متبرّمة :
— بلى .. هذا صحيح .

وصل المصنّع في تلك اللحظة ، ودعا (أدهم) الأستاذ
(جميل) ليتقدّمه ، ثم لحق به داخل المصنّع ، وضغط زرُّ
المهبط إلى الطابق السفلي ، في حين سأله (جميل) في لهجة
تخفى وراءها الكثير من السخط والتساؤل :

— هل تعلم أنها أوّل مرّة نلتقى فيها في مثل هذا الموعد
يا أستاذ (أدهم) ؟

أراد (أدهم) أن يخبره أن السبب يعود إلى أنه يستيقظ
عادةً في الخامسة والنصف صباحاً ، ويزاول رياضة العدو في
الطرق المغطاة بمنزله حتى السادسة والنصف ، ثم يذهب إلى
الإدارة ، حيث يصلها في الساعة ثمانية ، وهو نفس الوقت
الذي يكون فيه الأستاذ (جميل) قد استيقظ على التّو من نومه ،

(*) راجع قصة (التّضبان الجليدية) .. المغامرة رقم (٤٥) .

ولكن طبيعته الخدّرة جعلته يكتفى بابتسامة هادئة ، وهو
يقول :

— هذا من سوء حظّي بالتأكيد .

أوماً الأستاذ (جميل) برأسه موافقاً ، ثم عاد يقول في
فضول واضح :

— لازيّب أن عملك لا يحتاج للاستيقاظ مبكراً ، فأنت
تعمل بالأعمال الحرة حسبما يردّد سكّان البناية .. أليس
كذلك ؟

أجابه (أدهم) في هدوء ، على الرغم من أن تلك الأسئلة
قد أصابته بالملل :

— بلى .. ربّما .

عاد الأستاذ (جميل) يسأله في شغف وفضول شديدين :
— ما طبيعة تلك الأعمال بالضبط يا أستاذ (أدهم) ؟

كاد (أدهم) يتفجر ضاحكاً ، وهو يتخيّل التعبيرات التي
ستترسم حتماً على وجه الأستاذ (جميل) ، لو أنه أخبره بحقيقة
عمله ، ولكنه كتم ضحكته ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ،
وهو يقول :

— إنها أعمال غير تقليدية يا أستاذ (جميل) .. أعمال خاصة .

أنقذه وصول المصنعد إلى الطابق الأرضى من سؤال جديد ، ارتسم على ملامح الأستاذ (جميل) ، وانفجرت شفتاه لتلقى به ، لولا أن بادره (أدهم) ، قبل أن يغادر المصنعد فى سرعة :

— فرصة سعيدة يا أستاذ (جميل) .. أرجو أن يتكرر هذا اللقاء مرة أخرى .

انعقد حاجبا الأستاذ (جميل) فى استكار ، وهو يتابع ببصره (أدهم) ، الذى اخترق مدخل البناية فى خطوات سريعة ، غير مبال بالمطر المتهمر فى غزارة ، وقفز داخل سيارته ، وأدار محركها لتطلق به مبتعدة ، وفتح الأستاذ (جميل) مظئته ، وأحكم كوفيته حول عنقه ، ثم رفع المظلة فوق رأسه ، واتجه إلى سيارته ، وهو يغمغم فى سخط :

— ياله من شاب عايب !! من الواضح أنه من ذلك النوع الذى لا يشعر بالمسئولية قط ، وأن حياته لاهية رتيبة ، لا تحمل أى نوع من الإثارة .

وهز رأسه فى ثقة ، قبل أن يزدف فى تأكيد :

— إن نظرتى لا تخطئ أبدا ..

استقبل مدير المخابرات (أدهم صبرى) فى مكتبه ، وصافحه وهو يقول :

— من المؤسف أن نضطر لإيقاظك فى مثل هذا الطقس (يا ن ١) ، ولكن تفوقك فى عالم المخابرات منح (مصر) الحق فى أن تناديك فى أية لحظة ، مادامت تحتاج إليك .

غمرت المكان موجة من الحماس والحب ، مع حروف كلمات (أدهم) ، وهو يقول :

— ولن يمتنعنى سوى الموت من تلبية هذا النداء يا سيدي .
تطلع إليه مدير المخابرات بنظرة تحمل كل الفخر والاعتذار ، ثم ربت على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

— هذا ما تنتظره منك (مصر) يا ولدى .
ثم اتجه ليجلس خلف مكتبه ، وبسط راحتيه فوقه ، وهو يستطرد فى اهتمام ، بدا وكأنه قد ملك كيانه كله :

— إن (مصر) تعانى فى الآونة الأخيرة انتشار شبكات التجسس ، على نحو يؤلمها (يا ن ١) ، ولا يكاد يمضى شهر أو آخر ، إلا وتلقى أجهزتنا القبض على جاسوس

أو جاسوسين، كما لو كنا على شفا حرب طاحنة جديدة ..
ويروى عنى أن أخبرك أن عدد شبكات التجسس الداخلية ،
التي تم الإيقاع بها ، خلال الأشهر الخمسة الماضية ، يفوق كل
شبكات التجسس التي أوقفنا بها ، في الفترة بين حرب عام ألف
وتسعمائة وسبعة وستين ، وحرب أكتوبر عام ألف وتسعمائة
وثلاثة وسبعين ، مما جعل الأمر يتخذ صورة بالغة الخطورة ،
جعلتنا نجند كل عملاتنا في الداخل والخارج ، للسعى خلف سر
انتشار شبكات التجسس في بلادنا على هذا النحو .
لاح مزيج من القلق والاهتمام في عيني (أدهم) ، وهو
يسأله :

— هل تتبع كل هذه الشبكات من مصدر واحد يا سيدي ؟
قلب مدير اخبارات كفيه في خيرة ، وقال :
— هذا ما يبدو لنا يا (ن - ١) ، فكل هذه الشبكات
تعمل بنظام واحد ، وتتبع وسيلة واحدة في جمع المعلومات ،
وإرسالها إلى الخارج ، ولكن ما من شبكة كانت تعلم شيئا عن
أفراد الشبكات الأخرى ، كما أن العناوين التي ترسل إليها
المعلومات تختلف من شبكة إلى أخرى .. ولكن
نطق مدير اخبارات الكلمة الأخيرة بلهجة خاصة ،
جعلت (أدهم) يسأله في شغف :

— ولكن ماذا يا سيدي ؟

انحنى المدير إلى الأمام ، واستند بصدرة إلى حافة مكتبه ،
وهو يقول في اهتمام بالغ :

— لقد درسنا كل ذرة تراب أمكن العثور عليها ، عند
إيقاعنا بكل شبكات التجسس ، ونشنا كل شبر بحثا عن
طرف الحيط ، الذي يقودنا إلى مصدر هذه الشبكات ،
وهدفها ، حتى عثرنا بعد نضال وجهاد وعرق على ما بدا لنا أنه
طرف حيط ، فتشبنا به ، وفحصناه ، ومحصناه ، وسعينا
خلفه ، ولكننا عجزنا عن جذب الحيط كله من هذا
الطرف .

غمغم (أدهم) في لهجة تحمل كل انفعاله :
— إنك تلهب فضولي يا سيدي .

نهض مدير اخبارات من مقعده ، واستدار بحجده كله ؛
ليواجه خريطة العالم الضخمة ، المعلقة خلف ظهره ، أسفل
علم الجمهورية ، ووضع طرف سبابه على نقطة من أعلاها ،
وهو يقول :

— هنا انتهى الحيط .. في خط طول (٨٠ °) غربى

(خط جرينتش) (*) ، وخط عرض (٨٠ °) شمالي
(خط الاستواء) (**) .. هنا ضاع الخيط من رجالنا .

تطلع (أدهم) إلى حيث أشار مدير المخابرات ، فوجد
سبائه تستقر وسط جزيرة (إسمير) ، في أقصى الشمال
الكندى ، وقفز ذهنه دون أن يدري ، محاولاً تصوّر درجة
البرودة في ذلك المكان ، الذى يسبح في اغيط القطبى
الشمالى ، في ذلك الوقت من السنة ، ولكنه طرد هذه الفكرة
من ذهنه في سرعة ، وهو يستمع إلى مدير المخابرات ، الذى
أزدف في ضيق واضح :

— هنا وجد رجالنا أنفسهم عاجزين عن العمل ، في
جزيرة يبلغ تعداد سكانها أقل من تعداد قرية مصرية صغيرة ،
ويبدو فيها الغريب مميّزاً واضحاً ، كما لو كان هرة سوداء على

(*) خط جرينتش : خط الطول الجغرافى الرئيسى ، يمر بالمرصد
الفلكى الشهير ، الذى يسجل منه توقيت (جرينتش) ، والذى يوجد
في ضاحية (جرينتش) بمدينة (لندن) في (إنجلترا) .

(**) خط الاستواء : خط العرض الرئيسى جغرافياً ، ويقال عنه
أيضاً (خط الصفر الجغرافى) .. وهو يقسم الكرة الأرضية إلى قسمين ،
شمالي وجنوبي ، وهو يقطع (أمريكا الجنوبية) ، و (إفريقيا) ،
و (سمطرة) ، وجزر (بورنيو) .

سطح من الجليد الناصع البياض .. هنا انتهى بنا الخيط إلى مزيد
من الغموض .

اعتدل (أدهم) ، وهو يسأل المدير في اهتمام بالغ :
— ألا توجد هناك مصانع ، أو شركات تجارية يمكن
التعامل معها ؟

ابتسم المدير ابتسامة مبتسرة ، وهو يقول :
— لقد التقطت العبارة من فمى يا (أدهم) .. نعم ..
توجد هناك شركة تجارية واحدة ، ومصنع واحد يتبع نفس
الشركة ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لدخول (إسمير) ،
بأقل قدر من إثارة الشكوك والخدّر ، فهذه الشركة تعتمد على
صيد وتصدير الأسماك القطبية ، ولها فروع في معظم دول
(أوروبا) ، وهناك شخص ما ، داخل هذه الشركة ، يدير
كل شبكات التجسس التى أوقعنا بها ، لهدف ما ، والوسيلة
الوحيدة للوصول إلى هذا الشخص ، وذلك الهدف ، هو
انتحال صفة رجل أعمال ، يسعى للتعاقد على شراء ، أو
استيراد منتجات الشركة .

بهض (أدهم) ، وابتسم في هدوء ، وهو يقول :
— أعتقد أننى أحتاج إلى العودة لمنزلى أولاً ياسيدى ، قبل

أن أنطلق إلى (كندا) ، في شخصية رجل الأعمال هذا ،
فلاريب أن درجة البرودة هناك ستصل إلى ماتحت الصفر
بكثير ، وثيأى هذه لن

قاطعه مدير التقارير في حزم :

— لقد أرسلت حقيقتك إلى المطار منذ ساعة
يا (ن — ١) .. وستجد بها كل ماتحتاج إليه .

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

— وماذا عن (منى) ؟

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— ستبقى (منى) هنا يا (ن — ١) .. إن مهمتك هذه
المرّة لا تحتمل العنصر النسائي .. إنها مهمة رجل واحد .

شعر (أدهم) بالضيق ؛ لأن (منى) لن ترافقه في مغامرته
هذه المرّة ، إلّا أنه أجاب في ثبات :

— كما تأمر يا سيّدى .

ثم استدار ليغادر الحجرة ، إلّا أن المدير استوقفه ، قائلاً :

— (أدهم) ..

كانت كلمته تحمل دفء الدنيا كلها ، مما جعل (أدهم)
يستدير ليواجهه في هدوء ، وهو يقول في صوت خافت :

— نعم يا سيّدى .

صمت مدير التقارير لحظة ، وهو يتأمّله في إمعان ، ثم
قال في صوت غلب عليه التأثير :

— اعمل على أن تعود إلينا سالمًا .

امتلاّت ملامح (أدهم) بعزم قويّ ، وهو يقول في صوت
غلبه الحماس :

— (مصر) أوّلًا يا سيّدى .

وانطلق ليبدأ عملياته الجديدة ، في مناخ تحت الصفر ..



٢ - الكمبيوتر ..

تذكر (أدهم) حديث جاره الأستاذ (جميل) ، عن سوء المناخ في القاهرة ، وهو يتطلع غير تلك النافذة الزجاجية البالغة الضخامة ، في زُده الفندق الذي يقيم فيه في جزيرة (بافن) الكندية ، إلى الثلوج التي تمتد أمام عينيه إلى ما لا نهاية ، وتغمر أسطح السيارات والمنازل ، وتغطي الطرقات برداء أبيض بارد ، وعلى الرغم من أجهزة التكييف القوية ، التي تملأ الفندق ، وعلى الرغم من الأخشاب المشتعلة في مدفئه العتيقة ، إلا أن درجة البرودة داخله كانت تنخفض كثيراً عن مثيلتها في (القاهرة) .

ولقد شعر (أدهم) بمدى صعوبة مهمته في اليوم الأول لوصوله إلى (كندا) .. فلقد كانت جزيرة (السمير) ، التي يتغنى الوصول إليها ، تبدو في هذا الوقت من العام كمنطقة محرومة ، منعزلة ؛ إذ كان الوصول إليها يحتاج إلى الكثير من المخاطرة ، باختراق محيط متجمد ، بالإضافة إلى ضرورة الحصول على تصريح خاص من شركة الصيد ، التي يملكها الملياردير

(هنريك إدوارد) ، بحكم كونها صاحبة الحق في استغلال المكان ..

ولقد أ برق (أدهم) إلى الشركة ، يطلب مقابلة مديرها ، وصاحبها (هنريك إدوارد) منذ خمسة أيام ، قضائها في فندقه ينتظر الجواب ، وقد كاد الملل يقتله ، ويعصف بكيانه ، حتى لقد راودته اليوم فكرة البحث عن وسيلة للتسلل إلى الشركة ، وانتزع (هنريك) من مقعده ، وإجباره على الاعتراف بأنه الرجل الذي يدير كل شبكات التجسس في (مصر) ، إلا أن الفكرة بدت له شديدة السخافة ، وهو يتطلع إلى الثلوج في تلك اللحظة ..

وبينا هو مستغرق في أفكاره ، سمع من خلفه صوتاً هادئاً ، مهذباً ، يقول :

— مستر (أندريه صاند) حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟
استدار (أدهم) في هدوء ؛ ليواجه محدثه ، وهو يجاهد لإخفاء تلك اللهفة التي ملأت أعماقه ، والتي أنبأت أنه لحظة العمل قد حانت ، بعد خمسة أيام من الحمول ، وتطلع في إمعان إلى وجه محدثه الشاب ، الأشقر الشعر ، الأزرق العينين ، الهادئ الملامح .. ولقد بدت له تلك الملامح ذات طابع أمانى أصيل ، قبل أن يستطرد الشاب في هدوء :

— أقدم لك نفسى .. (فون دريك) .. مدير العلاقات العامة بشركة (إدواردز) لمصايد الأسماك القطبية .
 مد (أدهم) يده يصافح الشاب فى هدوء ، وهو يقول بلغة فرنسية سليمة :
 — يسعدنى لقاءك يا هز (فون دريك) .
 ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يردف بالإنجليزية تحمل اللمحة الفرنسية :
 — معذرة يا صديقى .. لقد نسيت أنكم تتحدثون الإنجليزية هنا .
 ارتسمت على شفتى (فون دريك) ابتسامة رسمية مهذبة ، وهو يقول :
 — لا بأس يا ماستر (أندريه) .. إننى أجيد الفرنسية أيضاً .
 رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يتف :
 — رائع .. دغنا نتحدث بالفرنسية إذن ، فأنا أخشى ألا تعاوننى إنجليزيتى على حسن الحوار .
 هز (فون دريك) كتفيه ، وهو يقول بالفرنسية :
 — كما يحلو لك يا ماسيو (أندريه) .
 قاده (أدهم) فى هدوء إلى مقعدين متجاورين بجزء المدفأة ، ومال نحوه يسأله فى اهتمام :



استدار (أدهم) فى هدوء ، ليواجه محدثه ، وهو يجاهد لإخفاء تلك اللهفة التى ملأت أعماقه ..

— ماذا أصاب شركتكم يا صديقى ؟... إتنى أنتظر جواب
برقيتى منذ خمسة أيام !

عاد (فون دريك) يرسم على شفتيه تلك الابتسامة
المهذبة ، وهو يقول فى هدوء :

— معذرة يا ميسو (أندريه) ، فلم تصلنا برقيتك سوى
أمس ، ولقد أمرنى مستر (هنريك) بالقُدوم إليك على
الفور .

عاد (أدهم) يرفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو
يقول :

— القُدوم إلتى ؟!.. يبدو أنكم قد أسأتم فهم برقيتى
يا صديقى ، فلقد طلبت أن أذهب أنا إليكم ، لا أن تأتوا أنتم
إلتى هنا !

اختفت ابتسامة (فون دريك) ، وهو يقول فى لهجة
حادة ، أقرب إلى الصرامة :

— ربّما أمكننا أن نمنحك ما تريد هنا يا ميسو (أندريه) ،
ودون الحاجة إلى تحشيمك مشقة الحضور إلينا ، فى هذا
الطقس المروّع .

كان (أدهم) يتوقّع هذا الجواب ، وكذلك كانت

الغابرات المصرية تتوقّعه ، لذا فلم يد أى أثر للإحباط
أو الدهشة على وجه (أدهم) ، وهو يسترخى فى مقعده ،
قائلًا :

— لا بأس .. لو أنك تملك حق إصدار القرار .

أجابه (فون دريك) فى بروح :

— كلّى أذان صاغية يا ميسو (أندريه) .

زفر (أدهم) كرجل أعمال لا يؤرقه أسلوب التعامل
معه ، وقال :

— حسنًا .. إنكم شركة كبرى ، ولكم فروع فى معظم
دول (أوروبا) ، ولكن ماذا عن (آسيا) ؟

غمغم (فون دريك) فى خيرة :

— ماذا تغنى يا ميسو (أندريه) ؟

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول فى حماس :

— ماذا لو أننى حصلت على حق توزيع منتجاتكم فى
(آسيا) كلها : شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ؟ سيكون
هذا رائعًا .. مستذوق (آسيا) الأسماك القطبية ، وتغرم
بها ، و.....

قاطعته (أندريه) فى هدوء :

— الآسيويون لديهم مايكفيهم من أسماكهم يامسيو
(أندريه) .. فهناك المصايد اليابانية للأسماك ، والتي تُعَد من
أكبر مصايد الأسماك في العالم ، ومصايد (هونج كونج) ،
(تاوان) ، و (فيتنام) ، ثم إنه هناك مصايد الأسماك
القطبية السوفيتية ، و

قاطعه (أدهم) هذه المرة في حماس :

— سنهزم كل هذا يا صديقي .. سنحطمهم تحطيمًا ..
سنهزمهم أسماكًا أجود ، وبسر أفل .

عقد (فون دريك) حاجبيه ، وهو يقول في دهشة :

— بسر أفل من (تاوان) و (هونج كونج) ؟
مال (أدهم) نحوه ، ورسم على وجهه علامات الخبث ،
وهو يهمس في لهجة من يكشف سرًا بالغ الخطورة :
— إن لدى لحظة رائعة .

ظل (فون دريك) يتطلع إليه طويلًا ، في نظرات بدت
وكانها تنفذ إلى ما تحت جلد (أدهم) ، الذي ظلّت ملامحه
على حالها ، حتى غمغم (فون دريك) في هدوء :

— كم تتصور حجم تعاملك معنا سنويًا يامسيو (أندريه) ؟
عاد (أدهم) إلى وضعه الأول ، وملا ظهر مقعده بكتفيه
العريضتين ، وهو يلوح بكفه ، قائلاً :

— مليار دولار .

رفع (فون دريك) حاجبيه في دهشة بالغة ، وردّد في
خبرة :

— مليار دولار ؟!

ثم شبّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وعقد حاجبيه ، وهو
يفكر في عمق ، قبل أن يقول في هدوء :

— لست أعتقد أنني أملك حق اتخاذ القرار في صفقة
ضخمة إلى هذا الحجم يامسيو (أندريه) .

لوح (أدهم) بذراعيه ، وهو يقول :

— هذا ما كنت أقصده ، حينما أخبرتك أنه من الضروري
أن أذهب أنا إليكم .. إن حجم الصفقة يستلزم مناقشتها مع
مسيو (هنريك) نفسه .

مرة أخرى عاد (فون دريك) يتطلع إلى (أدهم) طويلًا ،
ثم همّ بالنهوض ، وهو يقول :

— حسنًا يامسيو (أندريه) ، سأبلغ مسيو (هنريك)
بالأمر ، و

هتف (أدهم) في لهجة الرجل الذي نفذ صبره :

— يا إلهي !! لقد أضعنا خمسة أيام كاملة .

ابتسم (فون دريك) هذه المرة ، وهو يقول :
— اطمئن يا ميسو (أندريه) .. لن تشرق شمس الغد
إلا وأنت في (السمر) .

عقد (هنريك إدوارد) حاجبيه ، وهو يستمع إلى
(فون دريك) في اهتمام ، ثم مال إلى الأمام وهو يسأل :
— مليار دولار ؟! .. ألا يبدو لك الأمر مثيراً للشك ؟
لوح (فون دريك) بذراعه ، وهو يقول :
— يبدو أنه شديد التفاؤل بالنسبة لنجاح مشروعه .
أوماً (هنريك) برأسه بلا معنى ، قبل أن يغمغم :
— هذا إذا ما كان هناك ملياردير فرنسي بهذا الاسم حقاً .
ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :
— لقد تحرّيت هذه النقطة بالذات يا هُز (هنريك) ،
خلال الأيام الخمسة الماضية ، ولقد وجدت أنه يوجد بالفعل
ملياردير فرنسي يدعى (أندريه صاند) ، ولكننا لم نحصل على
صورته بعد .

بدا الاهتمام على وجه (هنريك) ، وهو يقول :
— وهل حصلت على صور الرجل الذي قابلته ؟

أوماً (فون دريك) برأسه إيجاباً ، وقال :
— نعم .. لقد قام (جونج) بعمل رائع ، والتقط خمس
صور فوتوجرافية واضحة للرجل ، حينما كنت أتحدث إليه في
الفندق ، وهاهي ذى .

وأعقب قوله بالتقاط الصور الخمس من جيب معطفه ،
وتسليمها لـ (هنريك) ، الذي تأملها في إمعان ، قبل أن
يقول :

— حسناً .. فلنر ماذا يقول عنه الكمبيوتر ؟
ثم دفع أكثر الصور وضوحاً دلهل تجويف خاص ، في
جهاز كمبيوتر حديث ، وضغط أزراره وهو يقول :
— سيد هشنى لو جاءت إجابة الكمبيوتر سلبية .
ثم لم تلبث عيناه أن تألقتا على نحو مخيف ، وارتسمت على
شفتيه ابتسامة فجّرت قبلة من القلق في أعماق
(فون دريك) ، وهو يقول :
— يبدو أننا قد وقعنا على صيد أكبر مما كنا نتوقع يا عزيزى
(فون دريك) .

قفز (فون دريك) من مقعده ، ودار حول مكتب (هنريك)
في هفة ، ليتطلع إلى شاشة الكمبيوتر ، التي ارتسمت فوقها

صورة واضحة لـ (أدهم صبرى) ، بدون الشارب الضخم ،
والمنظار الطبي ، اللذين أخفى بهما ملامحه ، وهو يستقبل
(فون دريك) ، وتحت الصورة كلمات تقول :

— الاسم : (أدهم صبرى) .. المهنة : ضابط مخابرات
مصرى .. الصفة المميزة : أخطر ضابط مخابرات فى العالم .

امتقع وجه (فون دريك) ، وغمغم فى صوت شاحب
مخفق :

— يا للشيطان !!

أما (هنريك) ، فقد أخذ يقرأ المعلومات المرتسمة على
شاشة الكمبيوتر فى صوت مسموع ، دون أن تختفى
إبتهامته :

— الرمز الكودى : (ن — ١) .. لم يتعرض لهزيمة واحدة
طوال عمله فى المخابرات المصرية .. تسعى خلفه كل التنظيمات
الإجرامية القوية فى جميع أنحاء العالم .. لا يميل إلى إراقة الدماء ،
ولكنه فائق الذكاء ، بالغ القوة والجرأة والجسارة .. لم يمكن
حصص كل المهارات التى يجيدها .. فشلت كل محاولات
التخلص منه .

ثم التفت (هنريك) إلى (فون دريك) ، مستطرذا فى
برود :

— إذن فهو رجل أعمال متفائل يا صديقى .
وأطلق ضحكة شيطانية مخيفة ، ازداد لها امتقاع وجه
(فون دريك) ، قبل أن يستطرد :

— رائع هو جهاز الكمبيوتر هذا .. إنه يدرس الملاحم فى
دقة ، ويكشف صاحبها ، مهما أتقن تنكره .. إنه يستحق
المبلغ الضخم ، الذى أنفقته للحصول عليه .. ولأول مرة
أشعر أن المعلومات التى نشترىها من (الموساد) تستحق ثمنها .
هتف (فون دريك) فى شحوب :

— سترفض قدومه إلى هنا بالطبع .

أطلق (هنريك) ضحكة أخرى قوية ، ثم قال :

— يا للشيطان !! .. أنتظاه بالغباء يا (فون) ، أم أن هذه
حقيقتك ؟ .. إن قدوم أخطر ضابط مخابرات مصرى إلى هنا ،
يعنى أن المصرين قد توصلوا إلى أننا خلف كل شبكات
التجسس ، التى أوقعوا بها فى الشهور الخمسة الأخيرة .. ونحن
لا ندرى ماذا لديهم فوق ذلك ، وهذا يعنى ضرورة إحضار
ضابطهم إلى هنا .

هتف (فون دريك) فى استكار :

— وماذا لو نجح فى معرفة سرنا الأكبر ؟

هز (هنريك) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— سيكون عليه حينئذ أن يغادر (إسمير) ، لينقل
مأعرفه إلى رؤسائه ، ومغامرة الجحيم أكثر صعوبة من دخوله
يا عزيزى .

وفى هذه المرة شاركه (فون دريك) ضحكته الشيطانية ..



٣ — أنفاس من ثلج ..

جاء الصباح التالى قارص البرودة ، وتدنّت درجة الحرارة
حتى بلغت الأربعين تحت الصفر ، ولكن ذلك لم يمنع هبوط
الهليوكوتر ، الخاصة بشركة (إدواردز) لمصايد الأسماك
القطبية ، فى ساحة الفندق ، الذى يقيم فيه (أدهم) ،
الذى شعر بالبرودة تكاد تجمّد أنفاسه ، وهو يستقبل
(فون دريك) ، هاتفاً :

— مرحباً يا صديقى .. هل أتيت لتصحبنى إلى رئيسك ؟
ابتسم (فون دريك) ابتسامة لم ترق لـ (أدهم) ، وهو
يقول :

— إنه ينتظرك فى لفة يا مسيو (أندريه) .
وتبعه (أدهم) إلى الهليوكوتر ، التى بدت وكأنها كُرّة من
الثلج ، وهى ترتفع فى طريقها إلى (إسمير) ، فى حين قال
(فون دريك) فى برود ، يفرّق برودة الطقس :
— سيكون عليك احتمال البرودة طوال ساعة كاملة يا مسيو
(أندريه) ، فنحن لانسخدم أجهزة التكيف داخل

الهليوكوتر ، إذ يؤدي استخدامها إلى تكاليف البخار على زجاجها ، وهذا يوق قاندها عن الرؤية .

غمغم (أدهم) في هدوء :

— إننى أقدر هذا .

وبعدها لم يتبادل كلمة واحدة مع (فون دريك) ، طوال رحلتها إلى (السمر) ، حتى هبطت بهم الهليوكوتر في مهبطها الخاص ، على سطح مبنى الشركة ، فغادرها (فون دريك) و (أدهم) ، الذى غمغم في سخط ، وكأنه رجل أعمال يعتز بثراته :

— لماذا لم يستقبلنى مسيو (هنريك) ؟

ابتسم (فون دريك) في خبث ، وهو يقول :

— لا تتعجل يامسيو (أندريه) ، سيم كل شيء في موعده .

هبط الاثنان بواسطة مصعد صغير إلى الطابق الثالث من المبنى ، وشعر (أدهم) لأول مرة ، منذ وصوله إلى (كندا) ، بالدفع ، فهتف في انبهار مصطنع :

— يا إلهى !!.. إن الأمر يبدو وكأننا قد انتقلنا فجأة إلى

(أكابولكو) (*) ، وقفز بنا الزمان إلى شهر يوليو .

ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

— لقد تكلفت أجهزة التكيف هنا عشرة ملايين دولار .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وفتح عينيه عن آخرهما ، وألقى فكه السفلى إلى أسفل ، شأن الرجل الذى ملأته الدهشة ، وهتف :

— عشرة ملايين دولار لأجهزة التكيف فقط ؟ لا ريب

أن مسيو (هنريك) بالغ الثراء !!

غمغم (فون دريك) في هدوء :

— هذا صحيح .

توقف بهما المصعد في الطابق الثالث ، وفوجئ (أدهم) بأربعة رجال يصوبون مسدساتهم نحوه ، وهو يغادر المصعد ، فهتف في استكار :

— ماذا يعنى هذا بحق السماء ؟

أشار (فون دريك) إلى الرجال الأربعة ، فخفضوا قوّهات مسدساتهم ، وأعادوها إلى أحزماتهم ، وقال هو في هدوء :

(*) أكابولكو : مصيف شهير في المكسيك ، يطلق عليه اسم (مصيف الأثرياء) .

— إنه إجراء أمن عادى يا مسيو (أندريه) .. فلو أنسى
لاأصبحك ، لكان عليهم إطلاق النار بلا تردد .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :
— إجراء عجب ، خاصة وأن جزيرة (السمير) تُعدُّ
مغلقة تقريباً .
مط (فون دريك) شفتيه ، وهو يقول فى برود :
— يمكنك أن تقول إن مسيو (هنريك) شديد الحرص .
غمغم (أدهم) ، وهو يخطو غُبر الممر ، الممتد أمام
المصعد :

— نعم .. إلى درجة مبالغ فيها للغاية .
وفجأة .. ارتفع رنين أجراس قوية ، وانتزع الحُرَّاس
الأربعة مسدساتهم فى حركة سريعة ، وارتسمت على وجوههم
شراسة رهبة ، وهم يصوبونها نحو (أدهم) ، فى حين قال
(فون دريك) بابتسامة باردة :
— لقد خالفت تعليمات الأمن يا مسيو (أندريه) .. إنك
تحمل سلاحاً أسفل معطفك .
ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وأخرج من جيب معطفه
مسدساً كبيراً ، ناوله لـ (فون دريك) ، وهو يقول :

— إنك لم تخبرنى أن هذا ممنوع .. إنسى أحمل مسدس
الخاص دائماً .. إنه ضرورى بالنسبة لرجل أعمال مثل
التقط (فون دريك) المسدس فى هدوء ، وعقد حاجبيه
حينما وجد أنه فرنسى الصنع ، ثم أشار إلى الرجال الأربعة مرّة
أخرى ، فعادوا يخفضون أسلحتهم ، وأوقف أحدهم رنين
الأجراس المزعج ، على حين استطرد (أدهم) فى هدوء :
— إذن فأنتم تستخدمون ذلك الجهاز السخيف ، الذى
يستخدمونه فى المطارات .. لقد بدأت أميل إلى أن مسيو
(هنريك) هذا مصاب بالوسواس القهرى .
ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :
— احترس يا مسيو (أندريه) .. إنه يسمعك الآن فى
وضوح ، غُبر أجهزة دقيقة ، تختفى فى نقوش الخائط ، ترسل
إليه صورتك وصوتك .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يغمغم :
— هذا طريف .
ثم توقف أمام الحجرة الوحيدة فى نهاية الممر ، واستطرد فى
هدوء :
— لو سِرْنَا طبقاً للقواعد ، فستكون هذه هى حجرة
الزعيم .

لم يكذب بعبارة ، حتى تحرك باب الحجر في هدوء ،
وظهر خلفه رجل وسيم ، أسود الشعر ، فيما عدا فؤذين
وخطهما الشيب ، يشيران إلى عمره الذى تجاوز الخامسة
والأربعين بعام أو بعض عام ، وابتسم الرجل ، وهو يقول في
هدوء شديد :

— مرحبا بك فى شركتى يامستر (أندريه) .. أقدم لك
نفسى .. أنا (هنريك إدوارد) .

صافحه (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :
— يسعدنى لقاءك يامستر (هنريك) ، ولكنى أعترض
كثيرا على أسلوبك فى استقبال ضيوفك .

لم تبد على ملامح (هنريك) أية تغيرات ، سوى أنه أغلق
عينيه وفتحهما بلا مبرر ، ثم أفسح الطريق لـ (أدهم) ،
وأشار إليه بالدخول ، وهو يقول :

— متناقش هذا فيما بعد يامستر (أندريه) .
دخل (أدهم) إلى حجرة المكتب الفاخرة ، وتبعه
(فون دريك) ، ثم أغلق الباب خلفهما فى هدوء ، فابتسم
(أدهم) وهو يقول :

— يبدو أنك مغرم بالآليات يامسيو (هنريك)

أجابه (هنريك) فى هدوء :

— إلى حد الجنون يامستر (أندريه) .. إننا نحيا فى الربع
الأخير من القرن العشرين ، ولقد أصبح كل شيء يدار
بالكمبيوتر .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو
يقول :

— إننى أفضل الوسائل القديمة .

ابتسم (هنريك) ، وهو يقول :
— ولكن الوسائل الحديثة أكثر سرعة وفعالية يامستر
(أندريه) .. إنها تجعلك تلمس العالم بأصابعك ، دون أن
تفارق مقعدك .

ثم استقر خلف مكتبه الأنيق ، قبل أن يستطرد فى برود :
— ألا توافقنى على هذا يا يا (ن - ١) ؟

تحفزت عضلات (أدهم) كلها ، حينما سمع (هنريك)
يماطبه بلقبه السرى ، ونذت منه حركة ثوجى باستعداده
للاتقضاض على (هنريك) بلا تردد ، لولا أن ارتفع صوت
(فون دريك) من خلفه ، يقول :

— لا تحاول يامستر (أدهم) .. إن مسدسى مصوب إلى

رأسك مباشرة ، وسأشعر بسعادة جمّة لو اضطررتنى لإطلاق
رصاصاته عليه .

لا أحد يمكنه أن يتصوّر مدى الخنق ، والسخط ،
والغضب ، والإحباط فى أعماق (أدهم) ، فى تلك
اللحظة ..

لقد رأى الحطّة المُحكّمة ، التى أعدّها المخابرات
المصرية ، فى براعة منقطعة النظير ، تنهار فجأة ، دون أن
يدرى لذلك سبباً .. ولقد ملأ هذا نفسه بكل تلك المشاعر
السابق ذكرها ، إلّا أن ملامحه ظلّت هادئة ، وأضيفت إليها
ابتسامة ساخرة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

— تخلّعة طريقة أيها الوغدان .. والآن ماذا تنتظران أن
أفعل ؟.. أأفقد الوعي ، أم أهب كفى بالتصفيق ؟

ابتسم (هنريك) ، وهو يقول فى هدوء :

— لا هذا ولا ذاك يا مستر (أدهم صبرى) .. كل
ما نريده منك هو أن تجلس هادئاً ، ونخبرنا بكل ما لدى
المخابرات المصرية بشأننا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول متهمّاً :

— هل أخبرتك آلياتك أننى سأفعل ذلك بهذه البساطة أيها
الوغد ؟

هتف (فون دريك) فى خنق :

— ستفعل أو أطلق النار على رأسك .

استدار إليه (أدهم) فى هدوء ، وواجهه بنظرة تفيض
بالتحدى ، جعلت المسدّس يرتعد فى يديه ، حينما خرج صوت
(أدهم) من بين شفثيه قاسياً كالصلب ، بارداً كالثلج :

— إننى أكره أسلوب التهديد أيها الألمانى .. أطلق
مسدّسك أو أعدّه إلى جيبيك .

احتقن وجه (فون دريك) فى شدة ، وهو يهتف فى غضب :

— ستوردك صفاقتك هذه مورد التهكّة أيها المصرى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة أخرى ، زادت من خنق

(فون دريك) وغضبه ، قبل أن يقول :

— حاول ألا تجعل صوتك مرتجفاً هكذا ، وأنت تلقى

التهديدات أيها الوغد .

صرخ (فون دريك) فى غضب هادر :

— سأقتلك .. سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى .

ودوى فى الحجرة صوت طلق نارى ، أصاب هدفه فى إتقان ..

٤ - الهدف ..

لو أن فناناً مغموراً أراد أن يرسم لوحة متميزة ، تقفز به إلى عالم الشهرة والخلود ، وتحمل اسم (الدهول) ، ما كان عليه إلا أن يحمل ريشاته وألوانه ، وينتقل إلى حجرة (هنريك) ، ويعمل جاهداً على نقل ملامح هذا الأخير ، وملاحم معارونه (فون دينك) في لوحته ، فقد كان كلاهما في تلك اللحظة صورة مجسمة للدهول ، وهما يحقدان في ذلك المسدس ، الذي يمسك به (أدهم) في استخفاف ، والذي التقطه من جيب معطفه في سرعة مذهلة ، وأطلق منه تلك الرصاصة الصائبة ، التي أصابت هدفها في إتقان ، وطوّحت بمسدس (فون دينك) إلى الركن البعيد من الحجرة ..

ومضت فترة من الصمت ، بدت خلالها ابتسامة (أدهم) الساحرة وكأنها تملأ الحجرة ، قبل أن يبتف (فون دينك) في دُهور :

— ولكنَّ جهاز كشف الأسلحة قد

قاطعه (أدهم) في سخرية :



استدار إليه (أدهم) في هدوء ، وواجهه بنظرة تفيض

بالتحدى ، جعلت المسدس يرتعد في يديه ..

— ألم أقل لكما إننى أفضل الوسائل القديمة ؟ .. إن هذا
المسدس مصنوع بأكمله من البلاستيك ، حتى رصاصاته كلها
من البلاستيك المقوى ، وهو أحدث صيعة فى عالم الأسلحة ،
المعدة خصيصاً لخداع جهازكم الحديث .. ولو أنكم اكتفيتم
بتفتيشى يدوياً ، لعثرتم على المسدسين ، ولكن الآن أعزل .
غمغم (هنريك) فى حلق :

— لن يمكنك أن تغادر هذه الحجرة حياً ، فرجالى الأربعة
فى الخارج
قاطعه (أدهم) فى هدوء :

— بمناسبة ذكر أوغاداك الأربعة ، كيف اتفق أنهم لم يهرعوا
إلى هنا فور سماعهم الطلق النارى ؟ .. أليس هذا من صميم
عملهم ؟

احتقن وجه (هنريك) ، وهو يقول :

— إن جدران مكبى عازلة للصوت .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— هذا أفضل بالتأكيد .

اكتست ملاح (هنريك) فجأة بصرامة مخيفة ، وهو
يقول :

— لو أنك تتصور أن مسدسك سيجعلك تحصل منى على
حرف واحد فأنت

قاطعه (أدهم) مرة أخرى فى برود :

— ومن قال إننى أنوى أن أفعل ذلك ؟

تطلع إليه (هنريك) و (فون دريك) فى دهشة ، وتحولت
دهشتهما إلى رجفة قوية ، حينما صوب مسدسه إلى رأس
(هنريك) ، قائلاً فى برود :

— لقد أتيت إلى هنا لهدف يختلف أياً الوعد .. وهذا
الهدف يقتصر على قتلك بلا رحمة ..

كان (أدهم) يتوقع أن ينهار (هنريك) إزاء هذا
الموقف ، على الرغم من الصرامة البادية فى ملامحه ، إلا أن
(هنريك) تطلع إليه فى دهشة لحظة واحدة ، ثم لم يلبث أن
ابتسم فى هدوء ، ثم غمرت ابتسامته وجهه كله ، قبل أن
تتحول إلى ضحكة قوية ، أثارت دهشة (فون دريك) بأكثر
مما فعلت بـ (أدهم) ، قبل أن يقول (هنريك) فى سخرية :

— إنك لن تخيفنى بهذا التهديد يا مستر (أدهم) ، ولن
تخدعنى به أيضاً .. فلقد نقل إلى الكمبيوتر كل ما تنصف به ،

ولقد أكد أنك تكره إرافة الدماء ، وأنا أصدق كل ما تأتي به
الأجهزة الحديثة يا مستر (أدهم) .. ألم أقل لك إننى مغرم
بالآليات إلى حد الجنون ؟

حافظ (أدهم) على ابتسامته الساحرة ، وهو يقول :
— ألم تنقل إليك آلياتك اللعينة ، أننى أهوى تحطيم أنوف
من يرفضون الانصياع لأوامرى أيها الوغد ؟

مط (هنريك) شففيه فى أسف ، وجلس على مقعده الكبير
خلف مكتبه ، وبسط كفيه على سطح المكتب ، وهو يقول :
— إننى أكره أن يفعل بى أى مخلوق هذا .

وزفر فى عمق ، ثم أشار إلى (أدهم) فى استسلام ،
مردفاً :

— تقدم يا مستر (أدهم) .. سأخبرك بكل ما ترغب فى
معرفة .

تقدم (أدهم) خطوة واحدة إلى الأمام ، ثم توقف فجأة
حينما أدرك أن استسلام (هنريك) السريع يدعو للرؤية
والشك ، ولكنه أدرك ذلك متأخراً لسوء حظه ..

كانت هفوة من (رجل المستحيل) ، لم تستغرق سوى جزء
من الثانية ، ولكن هذا الوقت الضئيل كان يكفى (هنريك) ،

ليضغط براحته على حافة مكتبه ، فتفتح فجوة أسفل قدمي
(أدهم) ، الذى وجد جسده يهوى داخل أسطوانة واسعة
مظلمة ، قبل أن تغلق الفجوة فوقه فى سرعة ..

اقترن سقوط (أدهم) ، فى تلك الهوة العميقة المظلمة .
بضحكة شيطانية ساحرة شامتة ، أنجبتها حنجرة (هنريك) .
وأطلقتها شفتاه ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، صائحا فى
زهو :

— يا للأحق المفرور !! هل كان يتصور أنه سيهزم الأسد فى
عرينه ؟

شاركه (فون دريك) ضحكته بمزيد من الانفعال ، قبل
أن يشير إلى حيث سقط (أدهم) ، هائفاً :

— ها هى ذى نهاية الشيطان ، الذى هزم أعظم وأقوى
منظمات الجاسوسية والإجرام فى العالم .. سيقضى نحبه جوعاً
وعطشاً فى قبو مظلم ، على عمق خمسة عشر متراً فى باطن الأرض .
لوح (هنريك) بذراعه ، وهو يضحك قائلاً :

— أراهنك أنه لن يقضى نحبه جوعاً وعطشاً ، فالقبو غير
مكيف الهواء ، وستبلغ درجة برودته الثلاثين تحت الصفر على

الأقل .. أضف إلى ذلك أنه مُحَكَّم الإغلاق ، وستجد أن صاحبنا لن يحتمل إلا يوماً واحداً على الأكثر .
عاد القلق يكسو وجه (فون دريك) ، وهو يغمغم :
— ولكن كيف نبرّر عدم غودته إلى (بافن) ؟
ملأ (هنريك) وجهه بابتسامة هادئة واثقة ، وهو يقول :
— اترك لي هذا الأمر .
ثم أردف وقد ازدادت ابتسامته اتساعاً :
— يمكنك أن تغلق ملف (أدهم صبرى) هذا إلى الأبد ..

من حُسن حظ (أدهم) ، أو من سوء تخطيط (هنريك) ، أن الأسطوانة التي انزلق داخلها ، حتى وصل إلى ذلك القَبْر المظلم ، على عمق خمسة عشر متراً في باطن الأرض ، كانت مائلة بزاوية قدرها عشرين درجة على الاتجاه العمودى ، فلو أنها عمودية تماماً ، لتحطمت جسده وهو يهوى من ارتفاع ثلاثة طوابق ، إلى عمق كهذا .. أما مع ذلك الميل البسيط ، فقد انزلق جسده على حافة الأسطوانة الداخلية ، حتى أنه لم يسقط على نحو عمودى إلا غير عشرة أمتار فقط ، ولولا مرونته ، التي جعلته يثنى ركبتيه ، حيناً ارتطم بالأرض ، مانحاً من تحطّم ساقيه وتشمّمهما ..

وكان القَبْر مظلمًا تمامًا ، ورطبًا وباردًا كالثلج ، حتى أن عظام (أدهم) كادت تن من شدة البرودة ، ولقد كشف منذ الدقائق الأولى ، أنه ليس أول ضحية لقبو الجحيم هذا ، فلقد تحسّست أصابعه جشّين متجمدين ، حفظتهما البرودة الشديدة من التحلّل والقناء ، لضحيتين سبقته إلى هذا المصير الأسود .. ولقد أثار هذا التمييز حزنه وحَنَقه إلى نحو كبير ، وفجّر في أعماقه ينابيع الغضب ، مما جعل ذلك الهدف الذى أخبر به (هنريك) يتحوّل إلى هدف حقيقى ..
لقد قرّر ألا يهدأ له بال حتى يقضى على (هنريك إدوارد) ، وعلى منظّمته كلّها .. أيّا كانت أهدافها ..
ولكن عليه أولاً أن يفادر قَبْر الجحيم ..
ولكن كيف ؟ ..



٥ - قَبْرُ الْجَحِيمِ ..

كان الموقف بالغ الصعوبة ، شديد التعقيد ، حتى مع المعلومات التى اختزنها عقل (أدهم) ، وسط هذا الظلام الدامس ..

كان يعلم أنه يقف أسفل الفتحة السفلى للأنبوب الأسطوانى ، الذى انزلق على حافته الداخلية الملساء ، المائلة بقدر عشرين درجة ، والتى ترتفع على نحو مستقيم طوال ما يقرب من ستة عشر متراً ، فى نعومة تجعل التسلق خلالها مستحيلاً .. كانت هذه المعلومات تكفى لإصابة أشجع الرجال باليأس والإحباط ، خاصة مع إضافة الظلام الدامس ، والبرد القارص ..

ولكن هذا لا ينطبق على رجل مثل (أدهم صبرى) ..
رجل يلقب بـ (رجل المستحيل) ..

وفى هدوء .. جذب (أدهم) جسئى الضحيتين السابقتين ، ووضع إحداهما على ظهرها ، عند موضع قدميه تماماً ، ثم رفع الأخرى ليضعها فوقها ، وهو يقاوم الاشتزاز الذى انتابه ،

ويحاول إقصاع نفسه بالقاعدة القديمة ، التى تقول :
« الحى أبقى من الميت » ..

ثم خلع معطفه ، على الرغم من البرودة الشديدة ، ومزقه إلى نصفين ، لفهما حول عنقه ، وتراجع بخطوات واسعة إلى الخلف ، وهو يحصى خطواته ، حتى بلغت خمس خطوات كاملة ، قبل أن يلامس ظهره جدار القبر الرطب ، البارد كالثلج ..

وهنا التقط نفساً عميقاً ، ملأه صدره ، وانطلق فجأة كالرصاصة ، وقفز لمس قدمه المجتئين من أعلى ، ثم دفع جسده بكل ما يملك من قوة وإصرار إلى أعلى ..

وكانت قفزة رهيبة ، لم يقدر سوى للجشتين الباردتين حضورها ..

قفزة يمكن اعتبارها مستحيلة ، حتى بالنسبة للأرقام القياسية ، التى يحطمها أبطال الأولمبياد فى فخر واعتزاز ..

قفزة جعلته يصعد إلى سقف القبر كالصاروخ ، ويتعلق بالفتحة السفلى للأنبوب الأسطوانى ، الذى بدا أشبه بتصل ثلجى حاد ..

ومضت ثانية واحدة ، و (أدهم) معلق بحافة الفتحة السفلى ، ثم انقبضت عضلات ذراعيه الفولاذية ، وعاونت جسده على الصعود إلى داخل الأسطوانة ..

وهنا انتزع (أدهم) نصفي معطفه الممزق عن عنقه ،
ولفّ النصف الأول حول قدميه في إحكام ، ثم ربط النصف
الثاني حول وسطه ، بحيث جعل الجزء الأعظم منه خلف
ظهره ، وبعدها دفع قدميه في جدار الأسطوانة في قوة ، ودفع
ظهره في الجدار المقابل ، وبدأ يصعد ..

كانت عملية شاقّة للغاية ، فقد كانت جدران الأسطوانة
ناعمة زلقة ، وكان عليه أن يتشبّث ، ويدفع جسده إلى أعلى
بقوة تفوق قوة رياضي متفوق .. وبعزيمة لا تقل عن عزيمة رجل
صبور ، قرّر أن ينقل أحجار جبل ضخّم من موضعها وحده ..
وكان الخطأ الواحد هنا يغيى أن يهوى جسده مرّة أخرى إلى
قعر الجحيم ..

وهذا يغيى الهلاك هذه المرّة ..

واستغرق الأمر ساعة كاملة ..

ساعة كادت خلالها عضلاته تتجمّد من فرط البرودة ،
لولا انجهد الشاق الذي يبذله ، والذي جعل تدفق الدماء في
عروقه يوقها عن التجمّد ..

وأخيراً .. وصل (أدهم) إلى الفجوة المغلقة ، التي بدأ
منها انزلاقه ، وحافظ على جسده في موضع الثبات ، بدفع



قفزة جعلته يصعد إلى سقف القبر كالصاروخ ،
ويتعلّق بالفتحة السُفلى ..

قدميه وظهره في جدارى الأسطوانة المتقابلين ، وحاول أن يدفع باب الفجوة المغلق بقبضتيه ، فوجد أنه يحتاج إلى دفعة قوية مركزة ، فاستجمع مابقى لديه من قوة ، ودفع الباب الصغير ، وقفز إلى حجرة مكتب (هنريك) ، وشهر مسدسه المصنوع من البلاستيك في حركة سريعة ، ولكنه فوجئ بمسدسات رجال (هنريك) الأربعة مصوبة إلى صدره ، من أربع جهات مختلفة ، ورأى هذا الأخير يجلس هادئاً خلف مكتبه ، وإلى جواره (فون دريك) ، وسمع (هنريك) يقول في هدوء :

— مرحباً يا مستر (أدهم) .. أهتاك .. إننا ننتظرك منذ ساعة كاملة .

كان وضع الرجال الأربعة مُحكَمًا ، بحيث تصعب إصابتهم بالسرعة المطلوبة ، قبل أن يطلق أحدهم رصاصة صائبة ، خاصة وأن جسد (أدهم) كان قد بلغ ذروة الإجهاد ، بعد ما بذله من مجهود شاق لصعود الأسطوانة الزلقة ، فخفّض قُوته مسدسه ، وجاهد ليرسم على شفّتيه أكثر الابتسامات سخرية ، وهو يواجه (هنريك) ، قائلاً :

— إذن فقد كنت تعلم أنني في طريقى إلى هنا !

رفع (هنريك) سبّابه أمام وجهه ، وهو يقول :

— منذ اللحظة الأولى يا مستر (أدهم) .

ثم لَوّح بذراعه ، مستطرداً في رُفُو :

— إنها الآليات الحديثة يا عزيزى ، فذلك القَبْو مزوّد بآلة

تصوير خاصة ، ترسل إلى الصور التى تلتقطها في الظلام ،

بواسطة الأشعة تحت الحمراء .. ولقد نقلت إلى كل ما فعلته

هناك ، وأصدّقك القول إنك رجل متفوّق ، غير عادى ..

فتلك القفزة الرهيبة ، التى أوصلتك إلى فتحة الأسطوانة ،

جعلتى أشهق ذهولاً ، وكاد صديقنا (فون دريك) يفقد

وعيه ، وطالبنى وهو يكاد يبكى بأن أطلق قاذفات اللهب

داخل الأسطوانة ، لأشويك حيّاً ، ولكننى فضّلت أن أمنحك

فرصة كاملة ، فلقد كنت متلهّفاً لمعرفة ما إذا كنت ستجح

حتى النهاية أم لا ، فأنا رجل شديد الفضول ، بقدر ما أنا

شديد الحرص يا مستر (أدهم) .

برقت عينا (أدهم) ، على نحو آثار الرّجفة في أوصال

(فون دريك) ، وهو يقول في هدوء :

— ستدم يوماً على أنك لم تستمع إلى نصيحة ذلك الوغد الألماني يا (هنريك إدوارد) .

أما (هنريك) ، فقد أطلق ضحكة ساخرة ، عند سماعه عبارة (أدهم) ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يسند مرفقيه إلى مسندى مقعده الكبير ، قائلاً في هدوء :

— إن الندم شعور لم يخامرني قط ، طوال حياتي يا مستر (أدهم) ، فأنا أعد لكل شيء عدته ، وأتحمس لكل الظروف .. وعلى سبيل المثال ، لقد أسقطت اهلوكوتير ، التي أتت بك إلى هنا وسط الثلوج ، وأبلغت فندقك في (بافن) بالحادث المؤسف ، الذي سببه سوء الأحوال المناخية ، في هذا الوقت من السنة ، وأعلنت عن استعدادي لدفع التعويض المناسب لورثتك ، باعتبار أنك (أندريه صاند) ، كما تؤكد سجلات الفندق ، وسيكشف هذا حقيقتك بالطبع ، حيناً يجدون أن (أندريه صاند) الحقيقي حتى يُرزق ، وسيجعل هذا التحقيق يميل إلى جانب آخر ، بعيداً عن شركتي ومنظمتي .. وهكذا ينتهي كل شيء في هدوء .

أجابه (أدهم) في برود :

— وهل تظن أن الخبايا المصرية ستغفر لك ذلك ؟

ابتسم (هنريك) وهو يقول :

— سيان لو فعلوا أو لم يفعلوا يا مستر (أدهم) .. لا تشي أننى ألعب في ملعبى أنا ، وأننى أملك كل أوراق اللعبة . سأله (أدهم) بنفس البرود :

— وما الذى تنوى أن تفعله معى الآن ؟

هز (هنريك) كتفيه في لامبالاة ، ثم قال في هدوء :

— سعيذك إلى القبر يا مستر (أدهم) ، ولكن جثة هامدة هذه المرة .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطرداً في برود :

— أطلقوا النار .



٦ - بين أنياب الأسد ..

فضّ مدير المخابرات المصرية تلك البرقية ، التي وصلت على التّو من (كندا) بأصابع غلّوها اللّهفة ، وجزت عيناه على كلماتها في اهتمام بالغ ، ثم لم تلبث أن اتسعت في جزع وذعر ، وهو يهتف :

— يا إلهي !! ... مستحيل !!

قفزت (منى توفيق) من مقعدها في جزع ، وخفق قلبها في قوّة ، حتى كاد يقفز من بين ضلوعها ، وهي تهتف بصوت مرتعد :

— ماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

حدّق مدير المخابرات في وجهها لحظة ، قبل أن تخرج الكلمات من بين شفّيته دامعة ، منكّسة ، حزينة ، وهو يقول :

— لقد خسر (أدهم) عمليته هذه المرّة .

انقبض قلب (منى) في قوّة ، ولحّل إليها أن أنفاسها تعجز عن ملء صدرها ، وهي تقول في صوت مختنق :

— هل أصابه مكروه ؟

أوما مدير المخابرات برأسه إيجاباً في بطنه ، قبل أن يغمغم في حزن :

— لقد قُبل .

اتسعت عينا (منى) في دُغر ولّوعة ، وتراجعت إلى الخلف ، وهي ترفع راحتها إلى وجهها في ألم ، وشحبت حتى بدت أشبه بالموق ، وهي تردّد :

— مستحيل ! ... مستحيل !

ثم دفنت وجهها في راحتها ، وهي تهتف في ألم :

— مستحيل أن ينتهي (أدهم) على هذا النحو !!

صاح بها مدير المخابرات في صرامة ، لم تخفّ نبرة الحزن في كلماته :

— كفى أيّها النقيب .. إننا لسنا موظفين إداريين في وزارة حكومية .. إننا رجال مخابرات ، نحمل أرواحنا على أكفّنا في كل خطوة نخطوها ، ومن النادر أن يصل أحدنا إلى سنّ التقاعد .

أدهشه أن جفّت دموعها على الفؤور ، وكأنما محتها كلماته محوًا ، وتسلّلت إلى صوتها نبرة قوية ، ممتلئة بالعزم ، وهي تسأله :

— أهذا الأمر مؤكد على نحو لا يقبل الشك يا سيدي ؟
هز كفيه ، وهو يقول في أنسى :

— تقرينا أيتها النقيب .. لقد كان لنا عميل آخر في فندق
(بافن) ، نطلق عليه اسم (عميل التغطية) ، ومهمته تقتصر
على إبلاغنا بكل التطورات ، التي تحدث للعميل الأصلي ..
ولقد أبلغنا هذا العميل بذهاب (أدهم) إلى (إلمير) ،
حيث شركة (هنريك) ، ثم أبقى إلينا الآن يقول إن
الهلوكوبتر ، التي أقلت (أدهم) إلى (إلمير) ، قد
تحطمت .. وأن (ن — ١) قد لقي مصرعه في الحادث ،
وأن شركة (إدواردز) أبلغت إدارة الفندق بذلك ،
وباستعدادها لدفع أى تعويض و.....

قاطعت (منى) في لفة شديدة :

— إذن فهو لم يَرِ جثة (أدهم) بنفسه :

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يغمغم :

— عميل التغطية في (بافن) محل ثقتنا التامة أيتها النقيب .
هتفت في انفعال :

— الحير نفسه ليس محل ثقة يا سيدي .

تهدد مدير المخابرات في عمق ، وهو يتطلع إليها ، وأنبأه .

خدسه أن الحب الذى يربط بين قلبي (أدهم) و (منى) ،
سيثير المشاكل كالعادة ، فقال في ضيق :

— ماذا تستهدفين بالضبط أيتها النقيب ؟

لوححت بذراعها في حماس ، وهي تقول :

— أنت تعرف (أدهم) مثلما أعرفه أنا يا سيدي .. هل
تظن أنه ذلك الرجل ، الذى يلقي مصرعه في حادث
هليكوبتر عادى ؟

مطأ المدير شفتيه ، وهو يغمغم :

— الأعمار بيد الله (سبحانه وتعالى) يا سيدي .

هتفت في مزيد من الحماس :

— لست أنكر ذلك ، ولكننى أكاد أقسم إن (أدهم)

ما زال على قيد الحياة ، وإن حادث الهليكوبتر ليس سوى
وسيلة لمنعه من العودة إلى (بافن) .

زفر مدير المخابرات ، وهو يسأها :

— وما دليلك على ذلك ؟

كادت تبتف بأن هذا ما أنبأها به قلبها ، إلا أنها أبقت في
اللحظة الأخيرة أن هذا التقرير لن يروق له ، فعقدت حاجبيها ،
وهي تقول في صرامة :



وقبل أن يتلاشى آخر حروف ذلك الأمر ، الذى أصدره (هنريك) لرجاله ، بإطلاق النار على أدهم ..

— يمكنكى أن أثبت ذلك .

سأفها المدير فى ضجر :

— كيف ؟

شدت قامتها ، واستجمعت شجاعتها ، وهى تقول فى

حزم عنيد :

— بأن أسافر على أول طائرة إلى (كندا) ياسيدى .

كان (أدهم) يشعر بإرهاق هائل ، حينما صوب نحوه رجال (هنريك) الأربعة مسدساتهم ، إلا أن جسده (أدهم) كان يمتلك خاصية فريدة متميزة ، تفوق أقرانه من بنى البشر .. فلم يكده ذلك الجسد يشعر بالخطر ، حتى نفّس عن نفسه كل الإجهاد والإرهاق والتعب دفعة واحدة ، ودفع فى خلاياه نشاطاً قوياً عبقياً ، وحيوية وطاقه لا حد لهما ..

وقبل أن يتلاشى آخر حروف ذلك الأمر ، الذى أصدره (هنريك) لرجاله ، بإطلاق النار على (أدهم) ، كان هذا الأخير قد تحرك فى سرعة ، ودقة ، ومهارة ..

ودار جذع (أدهم) نصف دائرة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، أطاحت بمسدس أحد الرجال الأربعة ، ثم غاص

بحسده إلى أسفل ، وانزل على الأرضية المصقولة ، وهو يطلق رصاصته الثانية ، التي أحاطت بمسدس الرجل الثانى ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصا الرجلين الآخرين ، فمرقت الأولى فوق رأس (أدهم) ، واحتكت بأطراف شعره ، فى حين أصابت الأخرى الأرض ، على بعد خطوة واحدة منه ، وغاصت فى أخشابها المصقولة اللامعة ، قبل أن يقفز (أدهم) واقفاً على قدميه ، ويطلق رصاصة ثالثة ، أطاحت بمسدس ثالث ، ثم يميل جانباً ، ويطلق الرصاصة الرابعة ، التى أفقدت الرجل الرابع والأخير سلاحه ..

ونهض (هنريك) من مقعده فى حركة حادة ، وهو يهتف فى خليط من الدهشة والسخط :

— يا للشيطان !!

واتسعت عينا (فون دريك) فى دُعر ، وهو يتراجع إلى الخلف ، فى حين صُوب (أدهم) مسدسه إلى الجميع ، وهو يقول فى صرامة ، تمتزج بسخريته المميّزة :

— معذرة أيها الوغد الزعيم .. يبدو أن ذاكرتى ضعيفة بعض الشيء .. بيم كنت تأمر رجالك منذ لحظات ؟

عقد (هنريك) حاجبيه ، وهو ينحنى ، قائلاً فى غضب وصرامة :

— ذغبنى أذكرك بامستر (أدهم) .. لقد أمرهم بقتلك ، وما زال هذا الأمر سارياً ، خاصة وأن ذلك النوع من المسدسات ، المصنوعة من البلاستيك ، يحوى عينا بالغ الخطورة ، وهو أن خزائنه لاتسع إلا خمس رصاصات فحسب .. ولو أن ذاكرتك الضعيفة أسعفتك ، فستجد أنك قد أطلقت واحدة من هذه الرصاصات الخمس على مسدس (فون دريك) ، ثم أطلقت الرصاصات الأربع الأخرى منذ لحظات ، وهذا يغنى أن سلاحك الأنيق هذا لم يَعد سوى قطعة من البلاستيك ، يمكننا أن نحفظ بها فى إناء زجاجى ، كذاكرى لمصرعك .

كان من الواضح أن (هنريك إدوارد) لا يتميز بالفضول والحرص فحسب ، وإنما بقوة الملاحظة ، وسرعة البديهة ، والأعصاب القويّة أيضاً .. ولقد كان من الواضح أن هذا يملؤه بالزهو .. فلم يكذب حين حديثه السابق حتى اعتدل فى اعتزاز ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة مزهوّة ، وهو يستطرد :

— ولتعلم أيضاً أن رجالى الأربعة ، الذين هم طاقم

٧ - الهروب من الجحيم ..

« تعلن شركة مصر للطيران عن قيام رحلتها رقم تسعمائة وخمسة ، المتجهة إلى (كندا) ، فعلى السادة الركاب سرعة التوجه إلى » ..

لم تنتظر (منى) لتسمع باقى النداء ، بل حملت حقيبتها الصغيرة ، وأسرعت الخطا نحو الحافلة الخاصة ، التى ثقل المسافرون إلى الطائرة ، فى حين عادت المضيفة الأرضية تكرر النداء بلغات مختلفة .. وقصرت (منى) داخل الحافلة ، واتخذت أول مقاعدها ، إلى جوار بابها ، وكأنها تتعجل الانطلاق إلى الطائرة .. ولم تكد تستقر على مقعدها حتى اتسعت عيناها فى دهشة ، فقد بدا لها جسم ضخم ، بالغ البدانة ، يجاهد لدفع كتل الشحم المحيطة به إلى داخل الحافلة ، وهو يمنحها ابتسامة وذود ، فهتفت فى دهشة :

— (قدرى)؟! .. ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

ألقى (قدرى) جسده على المقعد المجاور لها ، فحجب جسدها كله ببدانته ، وهو يلتفت إليها قائلاً فى مرح :

حراستى الخاص ، قد تلقوا تدريبات عالية مكثفة ، شديدة القسوة ، حتى باتت عظام قبضاتهم أشبه بالرصاص ، كما أن كلاً منهم حاصل على الحزام الأحمر فى رياضتى (الكاراتيه) و (الجودو) ، وهى كما تعلم مرتبة رفيعة فى عالم الرياضات القتالية .. هل يمكنك مواجهة أربعة وحوش من هذا النوع يا ماستر (أدهم) ؟

كان يلقي سؤاله الساخر الأخير فى نفس اللحظة ، التى تحرك فيها الرجال الأربعة بأجسادهم الضخمة ، وعضلاتهم المفتولة ، والشراسة المرتسمة على وجوههم ، نحو (أدهم) ، الذى قفز فى ذهنه السؤال نفسه :

— هل يمكنك مواجهة أربعة وحوش من هذا النوع يا (أدهم) ؟ ..

واستطلع عقله رأى عضلاته المنهكة ، وجسده المجهد ، ثم جاءت الإجابة مُفزعة مقلقة :

— كلاً .. لن يمكنك ذلك ، فى ظل هذه الظروف .

وفى نفس اللحظة التى جاء فيها الجواب ، انقضّ الوحوش الأربعة على (رجل المستحيل) ..

— إنك تحتاجين إلى رفيق في هذه الرحلة الطويلة .. أليس كذلك ؟

لم تضحك لدعائه هذه المرة ، وإنما عقدت حاجبها ، وهي تقول في صرامة :

— ما الذي جاء بك ؟

لُوح بكفه وهو يمس في ضراعة :

— رُوَيْدُكِ يا عزيزتي (منى) .. إنها مهمة رسمية .

رفعت حاجبها في دهشة ، وهي تهتف :

— مهمة رسمية ؟!

ابتسم وهو يمس مغمغماً :

— لا داعي لأن يعرف كل المسافرين هذا يا عزيزتي .

امتقع وجهها بغتة مع عبارته ، التي ذكرتها بعبارات

(أدهم) التقليدية ، وغمغمت في شحوب :

— هل لي أن أفهم ما الذي يُغيبه ذلك ؟

ابتسم ، وهو يقول في مرح :

— لقد كنت شديدة العناد والإصرار على السفر إلى

(كندا) ، حسبما أخبرني المدير .. ولقد نجحت في بذر بذور

الثُّلُك في أعماقه ، خاصةً وأنا نؤمن جميعاً بأن

(أدهم صبرى) ليس بالرجل الذى يیزمه حادث هليوكوبتر .

فقد كان خليقاً به أن يقفز من الهليوكولتر قبل لحظات من

سقوطها .. ولقد رأى المدير أن موقفك يجعل الأمر أشبه بناد

اجتماعي ، منه إلى جهاز مخابرات قوى ، فما كان منه إلا أن

حوّل سفرك إلى (كندا) إلى مهمة رسمية ، وجعلنى أشاركك

إياها ، بناءً على طلبى .

تتهذت في ارتياح ، وأسندت ظهرها إلى ظهر مقعدها ،

وهي تقول :

— إن هذا يسعدنى يا (قدرى) .

اختفى المرح من ملامحه فجأة ، وحلّت محلّها صرامة

شديدة ، وهو يقول :

— الشيء الوحيد القادر على منحى السعادة الآن

يا (منى) ، هو أن نجد (أدهم) على قيد الحياة وإلا أقسم أن

أبذل آخر قطرة من دمنى ، في سبيل الانتقام من قاتليه .

ثم أردف في حزم لم تمهده فيه من قبل :

— ولن أحتث بقسمى هذا أبداً يا (منى) .

لو أن (أدهم) في حالته العادية ، بغير ذلك المجهود الهائل ،

الذى بذله لصعود الأسطوانة الزلقة ، ما تردّد لحظة في أن يتأجّم الوحوش الأربعة ، وأن يذيقهم صلابة قبضته ، وقوة لكماته وزكاته ، ولأجبرهم على الركوع أمامه ، وإعلان هزيمتهم في ذلّ ومهانة ..

أما في وضعه هذا فقد كان الأمر يختلف ، وكان عليه أن يلجأ إلى الفرار ، على الرغم من كراهيته لمبدأ الهروب أمام أعدائه ..

وقفز (أدهم) إلى الخلف ، وألقى مسدسه في وجه أحد الرجال الأربعة ، ولكم الثاني في معدته بكل ما يملك من قوة ، ثم أدار مقبض باب الحجرة ، وفتحته وهو يركل الثاني في وجهه ، ثم قفز إلى الخارج وأغلق الباب خلفه في إحكام ، وانطلق يغدو نحو مصعد (هنريك) الخاص ..

وصاح (هنريك) ، وهو يتابع الشاشات التلفزيونية ، التي تنقل إليه ما يفعله (أدهم) في الممرّ الخارجى :

— أسرعوا أيها الأغبياء .. إنه يحاول الفرار بواسطة مصعدى الخاص .. اقلّوه قبل أن يفعل .. أسرعوا ..

التقط الرجال الأربعة مسدساتهم ، وأطلقوا رصاصاتهما على رتاج الباب ، ثم دفعوه بأكتافهم ، واندفعوا إلى الممرّ في نفس اللحظة التي قفز فيها (أدهم) داخل المصعد الخاص ،

وضغط أزراره ليرتفع به إلى السطح ، فصاح (هنريك) في رجاله :

— أوقفوا المصعد .. امنعوه من الوصول إلى السطح ..

سمع (أدهم) النداء ، من خلال جهاز صوتي صغير داخل المصعد ، فأدار وجهه إلى آلة التصوير المثبتة في المصعد ، والتي تنقل إلى (هنريك) ما يدور داخله ، وهنف في سخرية :

— إذهب إلى الجحيم أيها الوغد ..

ثم حطّم (أدهم) عدسة آلة التصوير بقبضته ، مما جعل دماء الغضب تتصاعد إلى رأس (هنريك) ، وهو يصرخ :

— انسفوا المصعد .. أسقطوه .. المهم ألا يصل ذلك الرجل إلى السطح أبداً ..

وهنا خطرت لأحد رجاله فكرة شيطانية ، فأطلق رصاص مسدسه على أزرار المصعد الخارجية ، فحطمها ، ثم انتزع أسلاكها في عنف ، وأوصل السلكين ، الموجب والسالب ، فأطلقت الأسلاك شرارة قوية ، وغبت الأضواء لحظة ، ثم توقّف المصعد دفعة واحدة ، في منتصف الطريق بين الطابق الثالث والسطح ..

ورأى (هنريك) ما حدث على شاشات أجهزته الرائدة.
فألقت عيناه في ظفر ، وصاح في شراسة :

— ستحصل على مكافأة سخية نظير براعتك أيا الرجل .
ثم ضغط زرّ جهاز الاتصال ، الذي يوصله برجال أمن
شركته ، وصاح في لهجة أمرة صارمة :

— إنذار إلى الجميع .. يوجد جاسوس داخل الشركة ،
ولقد سجّناه داخل المصعد .. اتجهوا جميعاً إلى السطح ،
وأطلقوا عليه قاذفات اللهب .. هل فهمتم ؟ .. أريد أن يُشَوَّى
حيّاً .

* * *

لم يكد رجال الأمن يتلقّون هذا الأمر ، حتى تجلّت فيهم
فجأة روح المهارة والبراعة ، فقد تحرّكوا جميعاً على نحو بالغ
التظيم والتسيق ، كما لو أنهم أفراد جيش نظاميّ قوى ، تم
إعداده في عناية وإحكام ، فقد انقسموا فجأة إلى عدة
مجموعات ، قام بعضها بمحاربة مداخل المكان ومخارجه
بمدافعهم الرشاشة ، وأسرع البعض الآخر يعزل مبنى الموظفين
عن مبنى (هنريك) الخاص ، في حين انطلقت المجموعة
الأخيرة ، وقوامها عشرة رجال ، إلى السطح ، فالتفت ثلاثة

منهم حول الهليكوبتر الرابضة على السطح ، يحرسونها في
إصرار ، في حين أحاط السبعة الباقون بمدخل المصعد ،
واندفع الثمان منهم ، يحملان قاذفتي لب ، ويفتحان باب
المصعد في سرعة ومهارة ، ثم اتجهت قُوَّتهما قاذفتي اللهب إلى
المصعد الخاص ، المعلق في مكانه بين الطابق الثالث
والسطح ، وانطلقت السنة اللهب لتحول المصعد إلى قطعة
من الجمجم ..

وارتفعت حرارة المصعد الخاص ، حتى وصلت جدرانه
إلى درجة الاحمرار ، واطمأن رجال الأمن إلى أنه من المستحيل
أن يبقى رجل على قيد الحياة وسط ذلك الكون الملتهب ،
فاوقفوا قاذفتي اللهب ، واعتدل أحدهما ، وهو يقول في لهجة
عسكرية :

— تم تنفيذ المهمة يا سيدي .. لا أحد يمكنه الفرار من هذا
الجمجم .

لم يكد الرجل يرم عبارته ، حتى انطلق صوت ساخر ،
جمّد الدماء في عروق الجميع ، وهو يقول :

— إذن فأنا أدعى لا أحد .

وقبل أن يزول أثر المفاجأة ، اندفع (أدهم) من باب
المصعد المفتوح ..

حتى يمكننا أن ندرك ما حدث ، لابد لنا من العودة بالزمن
إلى خمس دقائق مضت ..
إلى تلك اللحظة ، التي أصدر فيها (هنريك) أوامره
لرجال الأمن ..

لقد استقبل الجهاز الصوتي الصغير ، المثبت داخل المصعد ،
نفس الأمر إلى (أدهم) ، بعد أن توقّف به المصعد ، ودون
أن يضيغ ثانية واحدة ، أو حتى جزءاً من الثانية ، بدأ (أدهم)
تحركه ، فدفع فجوة الأمن في أعلى المصعد ، وقفز ليتعلّق
بخطتها ، ويصعد إلى أعلى المصعد ، ثم تعلّق بأسلاكه القوية ،
وأخذ يتسلقها في سرعة ومهارة ، حتى تجاوز مدخل المصعد
على سطح الشركة ، وتعلّق بالأسلاك في ذلك الفراغ الصغير ،
الذي يرتفع فوق المدخل ، والمعدّ لاستيعاب تلك الأجهزة ،
التي توضع فوق المصعد ، لتأمين حركته ..

وكم أدهشه أن نجحت عضلاته المنهكة في ذلك ، إلا أنه ألقى
تلك الدهشة خلف ظهره ، وظلّ متشبّثاً بالأسلاك ، وهو
يضم ركبتيه إلى صدره في مرونة ، حتى يختفي جسده تماماً في

ذلك الفراغ الضيق ، حتى رأى رجل الأمن وهما يفتحان باب
المصعد ، ويطلقان قاذبي اللهب نحو المصعد ..

وسرت في جسده قشعريرة ، وهو يتصوّر المصير الذي كان
يتظره ، لو أنه بقي داخل المصعد ، الذي تحوّل إلى كتلة من الجحيم ..
وعلى الرغم من أنه كان يعلو كتلة اللهب هذه بما يقرب من
عشرة أمتار ، إلا أنه شعر بحرارة شديدة من أثر قاذبي
اللهب ، حتى أنه تصبّب عرقاً في غزارة ، برغم برودة الطقس
في الخارج ، حتى أوقف رجلا الأمن إطلاق النيران ، وسمع
أحدهما يعلن انتهاء المهمة ونجاحها ..

وهناك أدرك أن لحظة الهجوم قد حانت ..
وقد كان ..

وفي براعة ومرونة وجراحة ، تعلّق (أدهم) بحاجز باب
المصعد ، وقفز إلى السطح ، وسطر رجال الأمن العشرة ،
وهو ينطق عبارته السالفة الذكر ، وتحركت قبضته في سرعة
وقوة ، لتهدى على فك أحد الرجلين ، اللذين يمسكان قاذبي
اللهب ، ثم التقط قاذفة اللهب في مهارة ، وهو يركل الرجل
الأخرين ساقيه .. وقبل أن ترتفع قوّات المدافع الرشاشة في
وجهه ، كان يطلق قاذفة اللهب في وجوه الجميع ..

وتحوّل سطح الشركة إلى جحيم حقيقي ..

٨- في سماء المعركة ..

نقلت آلات التصوير التي تملأ السطح ، ذلك المشهد إلى (هنريك) و (فون ديرك) ، فشحب وجه الأخير في ذهول ، واحتقن وجه الأول ، وهو يحدق في شاشة الرصد ، هاتفاً :
— مستحيل !!

وسرعان ما امتلأت عيناه بذهول جارف ، عندما رأى النيران تشتعل في ثياب خمسة من رجال الأمن العشرة ، فيلقون أسلحتهم ، ويركضون في كل مكان ، وهم يصرخون ويتفافزون في دُعر وألم هائلين ، ورأى الرجلين ، اللذين كانا يحملان قاذفي اللهب ، فاقدى الوعي تحت قدمي (أدهم) ، والرجال الثلاثة الباقين ، الذين كانوا يحيطون بالهليوكوبتر ، وهم يتخلّون عنها ، ويستديرون ليطلقوا رصاصات مدافعهم الرشاشة نحو (أدهم) ، الذي تغاذى الطلقات المنهمرة عليه كالمنطر بقفزة مذهلة ، ودار بجسده دورة رأسية في الهواء ، ثم هبط على قدميه ، وألقى قاذفة اللهب في وجه الرجال الثلاثة ، ثم انحى في سرعة مذهشة ، والتقط مدفعاً رشاشاً ، من تلك المدافع التي تخلّى عنها



كان يطلق قاذفة اللهب في وجوه الجميع ..
وتحوّل سطح الشركة إلى جحيم حقيقي ..

الرجال الخمسة ، بعد أن اشتعلت النيران في ثيابهم ، وفي مهارة منقطعة النظير ، أطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو الرجال الثلاثة ..

وامتقع وجه (هنريك) ، وسقط (فون دريك) على أقرب مقعد ، حينما أصابت رصاصات (أدهم) مدافع الرجال الثلاثة ، وأطاحت بها ، دون أن تمس أصحابها بخدش واحد ، وسمع الاثنان صوت (أدهم) ، غير الأجهزة الناقلة للصوت ، وهو يقول في صوت صارم ، موجّها حديثه إلى الرجال الثلاثة ، ومشيرًا إلى الهليكوبتر :

— ابتعدوا عن هذا الشيء .

أطاع الرجال الثلاثة الأمر في سرعة ، وأدرك (هنريك) مقصده على الفور ، فقفز من مقعده ، وهو يهتف في غضب :
— كلاً .. ليس الهليكوبتر .. ليس الهليكوبتر .

ولكنه لم يكذب عبارته ، حتى كان (أدهم) قد قفز إلى الهليكوبتر ، وأدار محركاتها ، فدارت مروحتها في قوة ، وارتفعت عن السطح ، وسقطت فك (هنريك) السفل في مزيج من السخط والذهول ، وهو يراقب الإقلاع الرائع ، الذي قام به (أدهم) ، في حين هتف (فون دريك) في دُعر :

— يا للشيطان !! لقد نجح في الاستيلاء على الهليكوبتر ، التي تحمل مدفعين رشاشين .

عقد (هنريك) حاجبيه في غضب وصرامة ، وضغط زرّ جهاز الاتصال ، وهو يقول في خنق :

— لدينا أخريات بصواريخ مضادة للطائرات .

ثم هتف عبر جهاز الاتصال :

— إلى القوات الجوية المحاربة .. لقد استولى الجاسوس على الهليكوبتر (زد ٣) .. أطلقوا خلفه خمس طائرات هليكوبتر من طراز (إكس ١٨) .. أريد ألا يبقى منه ما يكفي ملء علبه ثقاب صغيرة .. أطلقوا صواريخكم في سخاء .. المهم ألا يغادر ذلك الشيطان حدود (إسمير) أبداً .. أبداً .

لم تكن مغادرة (إسمير) ضمن لحظة (أدهم) في الواقع ، فهو لم يعمد إلى الاستيلاء على الهليكوبتر ، والإقلاع بها ، للفرار من ساحة المعركة ، وإنما كان ذلك كسوع من المقامرة المدروسة ، تستهدف إقناع الجميع بفراره ، حتى يمكنه العودة ، وقلب الأمور على رأس (هنريك) ورجاله ..

ولقد أدهشه أن هليوكوبتر كانت مزودة بمدفعين رشاشين .
مما لا يتفق مع هليوكوبتر تابعة لشركة مصايد قطبية ، حتى
ولو كان صاحبها يعمل في مجال الجاسوسية الخاصة ؛ لذا فقد
أذهله لثانية أن تنطلق لمطارده خمس طائرات هليوكوبتر ،
مزودة بالصواريخ ، من ذلك الطراز الذي لا يتواجد عادة
إلا في الجيوش القوية ..

ولكن ذهوله تلاشى في سرعة ، وتوازي خلف صرامته
وإصراره ، حينما أدرك أن الموقف قد تحول — لسبب ما — إلى
معركة حقيقية .. أو إلى حرب في سماء المعركة ..

ولقد وجدها (أدهم) فرصة لإثبات مهارته ، وتلقين
هؤلاء الأوغاد درساً .. وبدلاً من أن ينطلق هارباً ، استدار
بالهليوكوبتر ليواجه مطارديه ، على الرغم من ثقته بأن كل
هليوكوبتر تطارده ، تملك استعداداً حريزاً يجعل مواجهته لها
أشبه بمواجهة فأر صغير لتير مفترس ..

ولقد أدهشت مبادرته قائد الطائرات الخمس ، إلا أنهم
— وبإتقان عجيب — أطلقوا نحوه صواريخهم في آن واحد ،
وانجهمت الصواريخ الخمسة نحو هليوكوبتر (أدهم) ، وكل
منها يحمل هدفاً واحداً ..
القتل ..

لو أننا سألنا قائد القوات الجوية المصرية ، احتمالات
النجاة ، حينما تواجه هليوكوبتر من نوع (زد ٣) ، خمس من
طراز (إكس ١٨) ، لقط شفتيه في أسف ، وأجاب في ثقة :
— احتمال النجاة في مثل هذه الحالة يقل عن النصف في المائة .
ولو أننا أضفنا أن قائد الـ (زد ٣) هو المقدم (أدهم
صبرى) ، فستألق نظرة مُفعمة بالإعجاب في عيني قائد
القوات المصرية ، وهو يتسم ابتسامة واسعة ، ويقول بمزيد
من الثقة :

— في هذه الحالة أيضاً لن تزيد احتمالات النجاة عن
النصف في المائة ، وسيكون من المؤسف أن يفقد خمسة من
قائدي الهليوكوبتر (إكس ١٨) وظائفهم .

فلقد أشرف قائد القوات الجوية بنفسه على تدريب
(أدهم) ، وهو يعلم مدى كفاءته في هذا المجال ..

ولقد أثبت (أدهم) هذه الكفاءة بالفعل ، حينما انحرف
بالهليوكوبتر فجأة ، وصعد بها إلى أعلى في وضع عمودي ،
متجاوزاً الصواريخ الخمسة ، التي انفجرت بدوي هائل وسط
الثلوج ، ثم انقضت على طائرات الهليوكوبتر المطاردة ، وهو
يمطرها برصاصات المدفعين الرشاشين ، المثبتين في طائرته ..

وحطمت رصاصات مروحة هليكوبتر الأولى ، وراها
تهوى إلى أسفل ، وهى تدور حول نفسها على نحو بالغ
الخطورة ، فى حين مرق هو بين الطائرات الأربع الأخرى ،
وصنع باخترافه صفوفها موجة من التخلخل ، أغلّت بتوازن
طائرة أخرى ، فدارت حول نفسها بدورها ، وكادت تهوى
لتلحق بزميلتها ، لولا مهارة قائدها ..

واستدارت الطائرات الأربع لتواجه خصمها ، وقد أدرك
قائدتها أنهم يواجهون مقاتلاً لا يستهان به ، ولكنهم رأوا
هليكوبتر (أدهم) ترتفع فى سرعة نحو السحب الباردة ،
التي تحجب السماء ، فعقد أحدهم حاجبيه ، وهو يغمغم فى
دهشة :

— ماذا يفعل ذلك الأحمق ؟ .. أظن أنه يقود (فانتوم)
جديدة ؟

ثم اندفعت الطائرات الأربع خلف (أدهم) ، الذى
اخترق بالهليكوبتر السحب الباردة ، واختفى بينها ، حتى
أثار خيرة قائدى الطائرات الأربع ، التى أخذت تدور حول
السحب فى قلق وحذر ، وقال أحدهم لرفاقه ، غبر أجهزة
اللاسلكى :

— أين ذهب ذلك الشيطان ؟ .. هل ذاب وسط
السحب ؟

كان يتوقع أن يشاركه رفاقه خبرته وتساؤله ، إلا أنه فوجئ
بأحدهم يصرخ غبر جهاز اللاسلكى :

— احترس .. إنه خلفك ..

وقبل أن يلتفت ، أو يستدير بطائرته ، انهالت عليه
رصاصات هليكوبتر (أدهم) كالطر ، وأعطبت مروحة ،
وثقت خزّان وقوده ، فهوت طائرته قبل أن يفيق من ذهوله ،
وهى ترسل خلفها غيظاً من الدخان الأسود الكثيف ..

وأطلقت الطائرات الثلاث الباقية صواريخها نحو
(أدهم) ، الذى انحرف بالهليكوبتر فى سرعة وبراعة ،
وارتفع بها ليختفى وسط السحب مرة أخرى ، فهتف أحد
قادة الهليكوبترات الأخرى فى توتر :

— أى شيطان هذا ؟ .. إننى أشعر وكأننا نقاتل شبحاً !!
صاح آخر :

— فلنطلق الرصاصات وسط السحب ، لقد أمرنا الزعيم
ألا نذخر الذخيرة .

أطلق الثلاثة رصاصاتهم فى غزارة وسط السحب ، وقد

تملكهم القلق ، وملاً التوكر نفوسهم ، وكل منهم يتصور نفسه
الضحية التالية ..

وفجأة .. برزت هليكوبتر (أدهم) من وسط
السحب ، كسمكة قرش مفترسة ، اخترقت البحر لتثيب
أنبيائها في جسد ضحية جديدة ، وانطلقت رصاصاته تغمر
الطائرات الثلاث ، التي أخذتها المفاجأة ، فتلقت إحداها
سيلاً من الرصاصات ، حطمت زجاجها الأمامي ، واستقر
بعضه في جسد قائدها ، فهوت من حالي ، وأطلق قائد الثانية
رصاصاته في دُغر ، فأصاب زجاج هليكوبتر (أدهم) ،
وحطمه ، وأصاب إحدى رصاصاته كنف بطلنا ، ونفذت
منه مخلقة ثقباً دائماً ، وآلماً مبرحة .. وشعر (أدهم) بالهواء
البارد يرتطم بجسده ، وبأطرافه تتجمد ، وبأنفاسه تحتق على
الارتفاع الشديد ، وسط طقس تبلغ برودته الأربعين تحت
الصفر ، فهبط بالهليكوبتر في سرعة ، قبل أن يلقي حتفه ،
ولحقت به الطائرتان الباقيتان في إصرار ، وهما تمطرانه
برصاصاتهما ، التي أصابت خزان الوقود ، فزاد (أدهم)
من سرعة هبوطه ، محاولاً الوصول إلى ارتفاع معقول ، قبل أن
تتاله الرصاصات ، وهتف أحد قائدي الطائرتين في شراسة :

— لن تفر بعد ما فعلته .. لن تفر أبداً .

ثم أطلق آخر صواريخ طائرته نحو هليكوبتر (أدهم) ،
التي باتت على ارتفاع ثمانية أمتار فقط من سطح الأرض ..
وأصاب الصاروخ هدفه هذه المرة ..
وكان انفجاراً مروّعاً ..



٩ - ضائع وسط الثلوج ..

انقضت (منى) فجأة في أثناء نومها داخل الطائرة ، التي
تقلها مع (قدرى) إلى (كندا) ، واتسعت عيناها في دُغْر ،
وهي تصرخ :

— (أدهم) !!

التفت إليها (قدرى) في دهشة ، واستدارت إليها عيون
الركّاب في خيرة وجزع واستكار ، وهرعت إليها مضيضة
الطائرة ، تسألها في جزع :

— ماذا هناك يا سيدتى ؟

حدقت (منى) في وجه المضيضة لحظة ، ثم لَوحت بكفها ،
وهي تتنهد ، قائلة :

— لاشيء .. إنه مجرد كابوس فحسب .

منحتها المضيضة ابتسامة حنوناً ، وهي تسألها في إشفاق :

— هل أحضر لك بعض الماء ، أو قرصاً مهدئاً .

ابتسمت (منى) ابتسامة شاحبة ، وهي تقول :

— كلا .. شكراً لك .. إننى في خير حال .



التفت إليها (قدرى) في دهشة ، واستدارت إليها عيون الركّاب ..

منحتها المضيفة ابتسامة أخرى ، ثم انصرفت لشئونها ،
فالتفت (قدرى) إلى (منى) ، وسألها في تولُّد :
— ماذا حدث ؟

زفرت في قوة ، قبل أن تخفيه :
— إنه كابوس حقًا يا (قدرى) .. كابوس بشع .
سألها في اهتمام :

— وماذا عن هتافك باسم (أدهم) ؟
زفرت مرة أخرى ، وهى تقول في صوت مضطرب :
— لقد كان الكابوس حول (أدهم) يا (قدرى) .. لقد
رأيت داخل هليوكوبتر تنفجر ، ويلقى حتفه داخلها .
هتف في صوت خافت :

— رحماك يا إلهي !.. ما أبشعه من كابوس !!
أخذت تلهث كما لو أنها قد بذلت مجهودًا عظيمًا ، ووضعت
يدها على صدرها ، وكأنها تحاول تهدئة قلبها ، الذى يخفق في
عنف ، وهى تقول :

— لئنه يقتصر على كونه كابوسًا يا (قدرى) .
مطًا شفتيه ، وهو يغمغم في قلق :
— وماذا يمكنه أن يكون غير ذلك ؟

أغلقت عينيها ، تمنع دموعها من الانسكاب على خديها ،
وهى تقول في حزن انفطر له قلب (قدرى) :
— نبوءة يا (قدرى) ..

انفجرت هليوكوبتر (أدهم) انفجارًا هائلًا ، وتناثرت
شظاياها وسط سحابة هائلة من الثلوج ، استغرقت فترة
طويلة ، قبل أن تتساقط لتضمَّ إلى الثلج ، التى تغمر المكان ،
وتدثر بقايا الهليوكوبتر المحطمة برداء أبيض بارد ، ويُسود
السكون ، إلا من صوت مروحتى الطائرتين الباقيتين ، وهما
تُحومان حول الحطام ، قبل أن يتف قائد الهليوكوبتر ، التى
أطلقت الصاروخ القاتل ، في سعادة وظفر وحاس :

— لقد حطمته .. لقد نسفته نسفًا .

هتف زميله عبر جهاز اللاسلكى .

— لقد كنت رائعا يا رفيقى .. أهتلك .

ثم ضغط زرَّ اللاسلكى ، الذى يوصله بمكتب (هنريك)
مباشرةً ، وهو يقول في لهجة رسمية :

— انتهت المهمة في نجاح .. تمت تصفية العدو ..

جاءه صوت (هنريك) غبر سعاة الجهاز ، مُفَعِّمًا
بالانفعال والظفر ، وهو يقول :

— عُذ إلى هنا على الفور ، وقدم تقريرك .. إننى أنتظر .
غمغم الرجل :

— إننا فى طريق العودة .

ثم أغلق جهازه ، وقامت الطائرتان بدورة أخيرة حول
الخطام ، ثم انطلقتا نحو الشركة ، وتلاشى صوت مروحيهما
رويدًا رويدًا ، حتى لم يُعَد هناك سوى الثلوج الممتدة ، وخطام
هليكوبتر من طراز (زد ٣) ، كانت تحمل منذ قليل ضابط
اخبارات المصرى ، المعروف باسم (رجل المستحيل) ..

ضرب (هنريك) سطح مكتبه بقبضته فى قوة ، وهو يتف
فى غضب :

— ثلاث طائرات !؟ .. تفقدون ثلاث طائرات من طراز
(إكس ١٨) ، فى مواجهة مع هليكوبتر واحدة من طراز
(زد ٣) !؟ .. أى رجال أنتم !؟ .. ماذا ستفعلون إذن ، حينما
تُحِين اللحظة الكبرى !؟

تبادل قائدا الطائرتين الناجيتين نظرات الاستياء ، ثم
غمغم أحدهما فى ضيق :

— لقد كان الرجل يقاتل فى مهارة منقطعة النظير
ياسيدى ، ولا ريب أنه

قاطعهم (هنريك) بصرخة غاضبة :

— إنه ماذا ؟ .. مهما كان هذا الرجل ، فهو رجل واحد ،
وكان ينبغي أن تسقطوه من الضربة الأولى .

غمغم الطيار الآخر فى ضيق :

— لقد حاولنا ياسيدى .. ولكن

قاطعهم (هنريك) هذه المرة أيضًا ، صائحًا فى غضب :

— ولكن ماذا ؟ .. إننى أكره الأعداء الواهية .. الحقيقة
الوحيدة فى هذا الأمر ، هى أنكم ما زلتم تحتاجون إلى مزيد من
التدريب ، قبل ساعة الصفر ، فعندما تُحِين اللحظة الكبرى ،
لن تجدى الأعداء .

تبادل قائدا الهليكوبتر نظرة الاستياء مرة أخرى ، وعادا
يقفان منتصبين ، قبل أن يلوح (هنريك) بكفه فى سخط ،
قائلًا فى صرامة :

— انصرفا ..

انصرف الاثنان فى حُتق واضح ، فقد جاءا يتوقعان مكافأة
سخية ، فإذا بهما يتعرضان لتقريع عنيف ، ولم يكدا آخرهما

يفلق الباب خلفه حتى ضمّ (فون دريك) راحته أمام وجهه ، وهو يقول ..

— رُونْدِكْ يا مِستِر (هنريك) ، كلانا يعلم أن هذا الرجل كان شيطاناً مريداً ، ومن حسن الحظ أن نجح الرجال في التخلص منه .

لَوْح (هنريك) بذراعه ، وهو يقول في سخط :
— بخسائر فادحة يا (فون دريك) .. إن قوتنا لم تبلغ بعد الحد الكافي لتحمل مثل هذه الخسارة ، خاصة وأن نجاح المخابرات المصرية في كشف موقفتنا ، يغنى ضرورة التعجيل بساعة الصفر .

نهض (فون دريك) وهو يتسم ، ويقول في هدوء وثقة :
— اطمئن يا مِستِر (هنريك) ، لقد تخلفنا من أخطر ضابط مخابرات في العالم ، وسيبر كل شيء على مايرام .. اطمئن .

لم يكد صوت مروحي طائرتي الهليكوبتر يتلاشى ، بعد دورتهما الأخيرة حول حطام هليكوبتر (أدھم) ، حتى بدت بقعة من الجليد ، الذي يغمر المكان ، وكأنها تبض

في بطاء ، ثم لم تلبث أن تحركت ، وبرز منها رجل تجمّدت أطرافه من شدة البرودة ..

رجل يدعى (أدھم صبرى) ..

كانت بشرته قد اكسبت بلون أُميل إلى الزرقة ، بعد أن بقى تحت غلاف من الثلوج لأكثر من ربع ساعة كاملة ، وكانت أطرافه ترتجف في قوة ، وأنفاسه تتردّد في صدره في صعوبة .. ولكنه كان على قيد الحياة ..

وهذا هو المهم ..

وأخذ (أدھم) يدلك أطرافه في قوة ، محاولاً التغلب على البرودة القارصة ، التي تسرى في جسده ، وتحسّس الدماء التي تجمّدت حول ثقبى الرصاصة أمام وخلف كتفه ، وقاوم الآلام التي تعزّبد في جسده ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يتجه في خطوات سريعة نحو حطام الهليكوبتر .. كان قد نجا من الموت المحقق هذه المرة ، بتوفيق الله (سبحانه وتعالى) وحده .. فقد نجح في القفز من الهليكوبتر قبل لحظة واحدة من انفجارها ، وحجته سحب الثلج ، التي تآثرت إثر الانفجار ، عن عيون قائد الطائرتين المطاردتين ،

حتى غمرته الثلوج الناعمة ، وهو يستلقى على وجهه فوق
الثلوج الصلبة ، واحتمل هو البرد القارس ، واحتمل جسده
تلك الآلام التي يشعر بها ، حتى ابتعدت الطائرتان ..
ولقد بدا له هذا أشبه بالمعجزة ..

بل هو معجزة حقيقية ..

معجزة أراد له بها الله (سبحانه وتعالى) أنه ينجو ، وأن
يواصل قتاله ضد هؤلاء الأوغاد ..

وعاد عقله يشعر بالدهشة لوجود هذه الطائرات
الهلوكوبتر الحديثة ، في حوزة (هنريك إدوارد) ، وأنبأه
هذا أن (هنريك) لا يسعى مجرد إنشاء منظمة جاسوسية
خاصة ، بل يسعى لهدف أكثر قوة وخطورة ..

هدف يحتاج إلى جيش حربي كامل ..

وعليه هو أن يُوقف ذلك ، وأن يبذل حياته لتحطيمه ، إذا
ما قدر له أن ينجو ، وألا يبقى حتى مصرعه ضائعاً وسط جمجم
من الثلوج ..

١٠ - الطريق إلى الهدف ..

تفقد (أدهم) حطام الهليكوبتر في عناية ، وقد قرّر
الإفادة من كل قطعة يجدها وسطه ، ولقد شعر بارتياح كبير ،
لأن كايينة القيادة لم تنحط تماماً ، فأسرع ينتزع الفراء الذي
يكسو مقاعدها ، ومزّق أطرافه في عناية ، ليصنع فجوة تكفي
تحمير رأسه وذراعيه ، بحيث حوّله إلى سترة من الفراء تقيه بعض
البرد الشديد ، الذي يكاد يعصف بأطرافه ، واستغل جزءاً منه
في صنع غلاف واقٍ ، أحاط به رأسه وأذنيه ، ثم انتزع بقايا
المقاعد ، وكوّمها على بعد مترين من الحطام ، ثم التقط قذاحة
الهلوكوبتر ، وأشعل النار في البقايا ، وجلس إلى جوارها
بستمع بدفء النيران ، حتى استعاد جسده حيويته ونشاطه ،
وضمّد جرح كشفه بقطعة من بطانة المقاعد ، ثم اتجه إلى بقايا
الكايينة ، وأخذ يفتشها في اهتمام بالغ ، وتألفت عيناه حيناً عثر
داخلها على مسدس من طراز ألماني ، تحوى خزانته تسع
رصاصات ، فدسّه في جيب ستروته ، وابتسم في سخرية ، وهو
يغمغم :

— أعذك بأن أحفظ لك برصاصة من هذه الرصاصات
التسع يا (هنريك إدوارد) .

ثم اتجه إلى المروحة المخطمة ، وانتزع قطعتين مسطحتين
منها ، وتأملهما لحظة ، ثم اتجه إلى الهليوكوبتر ، وبذل جهدا
لينتزع قائمى الكابينة السفليين ، وأسلاك البطارية ، ثم حمل
هذه الأشياء ، وعاد إلى قطعتى المروحة ، وأخذ يثبت القطعتين
أسفل جذائيه بواسطة الأسلاك ، حتى أحكم تثبيتهما ، والنقط
القائمين ، ونهض واقفا ، ثم ابتسم وغمغم :
— أعتقد أن هذا يفي بالغرض .

كان قد أفاد بقطع حطام الهليوكوبتر ؛ ليصنع لنفسه
ما يشبه زلاجه الجليد ، ولم يغد أمامه سوى أن يثبت مهارته
فى التزلج على الجليد ..
ودفع (أدهم) القائمين فى الثلوج الصلبة ، ثم انطلق
بزلاجه الصناعيتين نحو الهدف ..

نحو شركة (هنريك) ..

أو نحو نهايته ..

ساعة كاملة اندفع خلالها (أدهم) منزلقا فوق الثلوج ،

وسط برودة قارصة تحملها فى بسالة نادرة ، حتى لاح له مبنى
الشركة ، مع مغيب الشمس ، وحلول الظلام ، وهبوط درجة
البرودة إلى الخمسين تحت الصفر ..

وتوقف (أدهم) خلف تبة للجنة قرية ، وتخلص من
زلاجه الصناعيتين ، وتجمدت أنفاسه وهو يراقب المبنى فى
اهتمام وإمعان ، حتى تبين مدخلا واحدا ، دون أن يرى حارسا
واحدا حول المكان ..

وكان يعلم أن المنطقة كلها مراقبة بآلات التصوير
التليفزيونية ، التى تنقل إلى (هنريك) كل ما يحدث وما يدور
حول المكان ، وكان يعلم أن الوصول إلى مبنى الشركة يُغد
مستحيلا ، حتى مع حلول الظلام ..

ولكن عليه أن يصل إلى هناك ، مهما كان الثمن ..
وعقد حاجبيه وهو يفكر فى عمق ، والبرودة من حوله
تزداد وتزداد ، وأطرافه تتجمد فى وضع السكون الذى
يتخذه ، والبرد يكاد ينخر عظامه ، ويجمد الدماء فى عروقه .
وفجأة .. تهللت أساريره ، وارتسم فى ملامحه انفعال
غامض ، وهو يتسمم مغمغما :

— من حُسن الحظ أنك تراقب كل ما يحدث يا (هنريك) ،
وأنت رجل شديد الحرص والحذر .

ثم أخرج مسدسه من جيبه ، ورفع فوهته إلى أعلى ، وأطلق
رصاصتين ، كان لهما دوى القنبلة وسط الظلام والسكون ..

كان (هنريك) يناقش بعض الأمور الهامة مع
(لون دريك) ، حينما نقلت إليه أجهزته دوى الرصاصتين ،
فقفز من مقعده في دُعر ، والتفت إلى شاشات الرصد التي تملأ
مكتبه في قلق ، وهتف غيّر أجهزة الاتصال :

— ماذا يحدث هنا ؟

أجابه رئيس حُرّاس المبنى في قلق مماثل :

— لست أدري أيها الزعيم .. لقد انطلقت رصاصتان في
الخارج ، ودرجة البرودة لا تسمح بوجود مخلوق واحد خارج
المبنى ، وكل رجالنا هنا ، والمصنع ومساكن العمال تبعد أكثر
من كيلومترين و

قاطعه (هنريك) في صرامة :

— أرسل خمسة رجال لتحرّى الأمر ، وأريد تقريرهم فور
عودتهم .



وتوقف (أدهم) خلف قبة الثلجية قريبة ،
وتخلص من زلّاجتيه الضخمتين ..

أجابه رئيس الحراس :

— كما تأمر أيها الزعيم .

استدار (هنريك) يراقب شاشات الرصد في قلق ، فسأله

(فون دريك) :

— ماذا تتوقع أيها الزعيم ؟

هز (هنريك) رأسه في خيرة ، وهو يغمغم في قلق :

— لست أدري .. إن أحدا لم يصل إلى الجزيرة ، سوى

ذلك الشيطان المصرى ، وأخشى أن يكون

قاطعه (فون دريك) ، وهو يتف في استكار :

— نجا؟! ... مستحيل يا مستر (هنريك) ، لا أحد ينجو

من صاروخ متفجر .

لم تخفف كلماته من قلق (هنريك) ، الذى غمغم في

خفوت :

— سأرسل رجلين في الصباح الباكر للبحث عن جسده ..

لن يبدأ لي بال حتى أرى بقاياها بعينى .

ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

— إنك تبالغ في الحرص والحذر هذه المرة أيها الزعيم .

مطأ (هنريك) شفتيه ، وهو يراقب شاشاته في قلق

واهتمام ، ويغمغم في توتر :

— ربما يا (فون دريك) .. ربما ..

ولكن عقله لم يبدأ أبدا ..

تبرم رجال الحراسة الخمسة ، وهم يغادرون مبنى الشركة

المكثف ، إلى الطقس الشديد البرودة في الخارج ، وقبض كل

منهم على مدفعه الرشاش في قوة ، وأنفاسهم تتجعد أمام

وجوههم ، وهم يتجهون إلى التبة التى ذوى عندها صوت

الرصاصتين ، وغمغم أحدهم في سخط :

— أراهنكم أنها مجرد فرقة جليد .. لقد سمعت صوتا

مشابها في الشتاء الماضى .

غمغم آخر في ضجر :

— أنت تعرف الزعيم .. إنه شديد الحرص والحذر ، وهو

يرى أن ذلك أحد مزاياه .

غمغم ثالث في سخرية مريرة :

— مزاياه؟! ..

ثم لم يزد أحدهم حرفا ، وهم ينقسمون إلى أفراد ،

ليدوروا حول التبة ، والثباب المجاورة ، وبدا الجميع وكأنهم

يؤذون عملا روتينيا بلا طائل ، والضجر يرسم على وجوههم

واضحاً ، وكل منهم يتمنى انتهاء الأمر في سرعة ، ليعود إلى
المبنى المكيف الهواء ، حيث ينعم بالدفء والراحة ..
وبينا كان أحدهم يدور حول ثبة قرية ، سمع صوتاً هادئاً
يقول :

— مرحباً أيها الوغد .. إن ملامحك تبدو لي مألوفة .. هل
التقينا من قبل ؟

استدار الرجل في سرعة ، وصوب مدفعه الرشاش إلى
مصدر الصوت ، ولكن ملامحه تغيرت فجأة ، دون أن يكون
لانفعاله أدنى أثر على ذلك ، فالشيء الذي غير ملامحه كان
لكمة قوية ..

لكمة من قبضة (أدهم صبرى) ..

انتهى الحراس الخمسة من بحثهم بعد نصف ساعة ، بدت
لهم كدهر كامل ، وسط هذا الطقس ، ثم اتجه قائدهم إلى بقعة
خالية ، وهو يقول :

— الجميع إلى هنا .

اتجه الجميع إلى حيث يقف قائدهم ، وهذا للقاتل أن
أحدهم أكثر طولاً من ذى قبل ، وأنه يرمى قبعة بأكثر من

اللازم ، إلا أن رغبته في العودة جعلته يتجاهل ذلك ، ويقول في
لهجة أمرة :

— هل من نتائج ؟

أجاب الجميع في سرعة ، صنعتها لهفتهم إلى العودة :

— النتائج سلبية يا سيدي .

أوماً الرجل برأسه موافقاً ، ثم استدار ، واتجه إلى مبنى
الشركة ، وهو يقول :

— حسناً .. هيّا بنا نعود .

وتحرك الجميع في خطوات سريعة نحو المبنى ، الذي لم يفتح
أبوابه لاستقبالهم ، وسرى الدفء في أجسادهم ، حيناً أغلق
الباب خلفهم ، واتجه قائدهم ليدلى بتقريره (هنريك) ، في
حين اتجه الآخرون إلى أماكنهم ..

وفي هدوء انفصل أحدهم ، وغاب في مدخل جانبي ،
دون أن يلتفت إليه الآخرون ..

لقد كان (أدهم صبرى) ..

ولقد كان هذا المدخل الجانبي هو أول الطريق إلى
الهدف ..

الهدف القاتل ..

١١ - وكر الشياطين ..

تحرك (أدهم) داخل المكان في خطوات هادئة ، حتى لا يثير الشك ، أو يلتقط (هنريك) تحركاته المريبة غير آلات التصوير المنتشرة في كل مكان ، ولقد بلغت دهشته أوجها ، وهو يشاهد الآلات الحربية المنتشرة في كل مكان ..

كانت هناك أكوام من قنابل الدبابات ، وقذائف الطائرات ، والصواريخ المضادة للطائرات ، والمدافع ، وأعداد هائلة من المدافع الرشاشة ، والمسدسات ، وتلال من الرصاصات من كل الأعيرة والأحجام ..

كان المكان في واقع الأمر مصنفا ضخما للذخيرة الحية ، يكفي لتغذية جيش دولة عظمى .. وكان هذا يتفق مع مخاوف (أدهم) ، وشكوكه في أن هدف (هنريك) يفوق التجسس كثيرا ، ويتجاوزه إلى رغبة جنونية في القوة والسيطرة ، ولن يدهشه أن يكون هدف ذلك المجنون هو احتلال (كندا) كلها ، بل وربما يتجاوز ذلك إلى احتلال الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ..

ولكن كيف يتفق ذلك مع إرساله كل هذه الأعداد من الجواسيس إلى (مصر) ؟ ..
ما علاقة (مصر) باحتلال (كندا) أو الولايات المتحدة ؟ ..

كلًا .. هناك هدف جنوني يسعى إليه (هنريك) .. هدف يفوق أقصى ما يمكن أن يتخيله (أدهم) ..
هدف قد يبلغ حد السيطرة الكاملة ..
السيطرة على العالم أجمع ..

زاد هذا الكشف من حماس (أدهم) ، وإصراره على تدمير (هنريك) ومنظمته ، وجيشه الخاص كله ، فالتجه بخطوات ملؤها الإصرار والعزم نحو مصعد كبير ، واستقله لينتقل إلى الطابق العلوي ، الذي يحجبه سطح المبنى ، وتبين له أن هذا الطابق لا يحوى أية منافذ ، يمكنها أن تقوده إلى سطح المبنى الذي يحتكر (هنريك) استغلاله ، ولكن إصراره على الوصول إلى (هنريك) جعله يدلف إلى حجرة خالية ، تطل نافذتها على إفريز ضيق ، يتصل بفتحة التهوية الخاصة بمصعد (هنريك) الخاص ، وغادر الحجرة غير النافذة ، وتعلق بالإفريز

الضيق ، وتحرك نحو فتحة التهوية ، ثم طُرح بجسده داخلها ،
وتعلّق بحافّتها ، وألقى نظرة إلى أسفل ، حيث توقّف المصنّعد
الخاص في الطابق الثالث ، وتعلّق بأسلاك المصنّعد ، وأخذ
يهبط إليه في سرعة ، حتى استقرّ على سطحه ، ووقف ساكنًا
بعض الوقت ، ثم فتح فجوة الأمان في سطح المصنّعد ، ودفع
فُرْجَةً مدفعه الرشاش في عدسة آلة التصوير ، فحطّمها بضربة
قوية سريعة ، وقفز داخل المصنّعد ..

وإلى حجرة مكتب (هنريك) ، توقّفت شاشة البثّ
الخاصة بالمصنّعد عن نقل الصّور ، وكان هذا خليقًا بأن يخفق
قلب (هنريك) ، ويصرخ هو في توكر ودُغَر ، إلّا أنه من
العجيب أن (هنريك) اكتفى بالتلويح بكفه في هدوء ، وهو
يقول لـ (فون دريك) :

— مُر الرجال بتفقد المصنّعد .

غمغم (فون دريك) في قلق :

— ولكن

قاطعه (هنريك) في برود :

— افعل ما أمرك به .

ثم استرخى في مقعده ، وأشعل سيجارًا فاخرًا ، نفث
دخانَه في هدوء ، مستطرًا :

— جاء ذوّري لأقول لك : اطمئن يا (فون دريك)

إن كل شيء يسير على ما يرام .. كل شيء .

اتجه الحُرّاس الأربعة لتفقد المصنّعد ، طبقًا لأوامر

(هنريك) ، وشهّر كل منهم مسدّسه ، وضغط أحدهم على

زُرّ باب المصنّعد ، فانفتح الباب في هدوء ..

ولكن ما حدث بعد ذلك كان أبعد ما يكون عن الهدوء ..

كان عاصفة ..

عاصفة اسمها (أدهم صبرى) ..

لم ينجح رجل واحد ، من الحُرّاس الأربعة ، في إعطاء

وصف دقيق لما حدث ، بعد فتح باب المصنّعد الخاص ..

كل ما اتفق عليه الأربعة ، هو أن عاصفة من القبضات

والرُّكلات قد اندفعت من المصنّعد ، وهوت على أنوفهم

وفكّوكهم ومعداتهم في سرعة وتعاقب مذهلين ، وأن الظلام

قد ساد فجأة ، واكتنف عقولهم وأجسادهم ، قبل أن يدرك

أحدهم ما حدث ، على الرغم من أنهم مؤهلون للقتال العنيف

المدرّوس ..

(أدهم) وحده كان يستطيع أن يعطى ذلك الوصف

الدقيق ، فهو الذي حطّم أنف الحارس الأول ، وهشم أسنان

الثاني ، وغاص بقبضته في معدة الثالث ، وهوى بلكمة على مؤخرة الرابع ، قبل أن يمنحهم الفرصة لمقاتلته ..

وهو الذي اندفع بالمدفع الرشاش ، الذي استولى عليه من الحارس ، الذي يتحل شخصيته ، غير الممر الزاخر بآلات التصوير ، متجاهلاً كُون (هنريك) يراقب ما يحدث في هذه اللحظة ..

وهو الذي اقتحم حجرة (هنريك) كعاصفة هوجاء .. وهو — وهذا هو المهم — الذي أصيب بالدھشة ، حينما هاجمه فجأة أربعة رجال بُن فيهم حُرّاس (هنريك) الأربعة الخصوصيين ..

كان هجوماً مباغتاً ، لم ينتظره ، ولم يتوقعه ، ولكنه حاول أن يواجهه ، فهوى بكعب بندقيته على فك أقرب الرجال إليه ، ودفع قدمه في معدة الثاني ، ودار على غيبه لبواجه الثالث والرابع ، إلا أنه تلقى لكمة قوية في مؤخرة عنقه ، جعلته يترئع في قوة .. وقبل أن يستعيد توازنه ركل أحدهم مدفعه الرشاش ، وهوى آخر على رأسه بلكمة قوية ، فدار رأسه في عنف ، وتراقصت المشاهد أمام عينيه ، وحاول أن يقاوم ، ولكن لكمة أخيرة أنهت الصراع ، وألقته فاقد الوعي

وسط حجرة (هنريك إدوارد) ، الذي ضم راحتيه أمام وجهه ، وهو يقول مبتسماً في ظفر وارتياح :

— إنه لا يتعلم بسرعة للأسف .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطرداً في هدوء :

— انقلوه إلى حجرة اختبارات التجميد .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة شامتة ، وهو يردف :

— لقد حصلنا على حيوان تجارب جديد ..

تلملت (منى) في مقعدها داخل الطائرة ، وزفرت على نحو نقل إلى (قدرى) ضيقها وضجرها ، فالتفت إليها يسألها في قلق :

— ماذا بك هذه المرة ؟

لوّحت بكفها ، وهي تقول في خنق :

— ألا توجد وسيلة أسرع للسفر إلى (كندا) ؟

ابتسم وهو يقول :

— ستوجد وسائل أكثر سرعة في المستقبل بالتأكيد ، أمّا الآن فالرحلة تستغرق عشرين ساعة على أقل تقدير ، ولم يُعد

أمامنا سوى خمس ساعات ، وبعدها سنحتاج إلى خمس ساعات
أخرى للوصول إلى (بافن) ، والله (سبحانه وتعالى) يعلم
متى نصل إلى (السمر) .

زفرت مرة أخرى في ضيق ، وهى تقول في تولد :

— ونحن نتصور أننا نهرع بأقصى سرعة لمعاونة

(أدهم) ؟

عقد حاجبيه وهو يفهم :

— (أدهم) هو خير من يعاون نفسه يا (منى) ..

صدقيني .. إن وجودنا بالنسبة إلى (أدهم) لن يساوى أكثر
من حصاة صغيرة تحاول مساندة جبل .

غمغمت في صوت أقرب إلى البكاء :

— ولكن قلبي يشعر أنه في خطر يا (قدرى) .. خطر

هائل ..

أحاط الظلام بعقل (أدهم) طويلاً ..

ظلام دامس عميق ، ماله من قرار ..

ثم ظهر بصيص من الضوء وسط الظلام .. واتسع ..

واتسع .. حتى عاد ذهنه إلى وعيه دفعة واحدة ..

وشعر (أدهم) بصداع شديد ، وبآلام هائلة في عنقه
وكفيه ، وكشف منذ الوهلة الأولى أنه ممدد فوق مائدة رخامية
باردة ، مكبل المعصمين والقدمين بقيود حديدية مثبتة
بالمائدة ، ففتح عينيه في بظء ، ليطالعه وجهها (هنريك)
و (فون دريك) ، بابتسامتهما الساخرتين الشامتتين ، مما
جعل (أدهم) يتجاهل آلامه وأوجاعه ، ويرسم على شفاهه
ابتسامة ، أودعها أكبر قدر من السخرية وهو يقول :

— يا إلهى !!! لم أكن أتصور أن أعمالى قد بلغت هذه

الدرجة من السوء ، إننى في الدرك الأسفل من الجحيم
ولاشك ، فأنا أرى وجهى أبشع وأقبح شيطانين في جهنم
كلها .

عقد (فون دريك) حاجبيه ، واحتقن وجهه في غضب ،

في حين ابتسم (هنريك) في هدوء ، وهو يقول :

— يبدو أنك لا تفقد روحك المرحية أبداً يا مستر

(أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، جعلت (فون دريك)

يستشيط غضباً ، ويتف في سخط :

— ستدفع ثمن كل هذا أيها المتبجح .. إننى سأ



وكشف منذ الوهلة الأولى أنه ممدد فوق مائدة رخامية باردة ، مكبل المعصمين والقدمين ..

قاطعه (هنريك) بإشارة صارمة من يده ، وواجه (أدهم) ، قائلاً في هدوء :

— رائع يامستر (أدهم) .. إنك رجل نادر بحق .. إنك مصاب برصاصة في كتفك ، اخترقته من الأمام ونفذت من الخلف ، ولكنك — على الرغم من ذلك — أوقعت ثلاث طائرات ، ونجحت في الوصول إلى هنا ، وخدعت رجال حراسة المبنى ، وتسللت إليه بخدعة ماهرة ، وفانلت أربعة رجال أشداء ، وهزمتهم في أقل من نصف الدقيقة .. إنك رجل رائع بحق .

ثم مطأ شفتيه ، ورفع سبائته أمام وجهه ، وهو يستدرك :
— ولكنك لا تتعلم بسرعة .

وتهد قبل أن يردف في هدوء :

— لقد تصرفت بحكمة وذكاء ، حتى وصلت إلى المبنى ، وبعدها اتجهت بلا مبرر إلى مخازن الذخيرة ، وأخذت تتأمل محتوياتها في دهشة واضحة ، جعلتني أرتاب في أمرك ، وأنا أشاهدك على إحدى شاشات الراصدة ، فتابعتك وأنت تصعد إلى الطابق العلوي ، وتعبّر النافذة .. ولقد كان من السهل أن أتوقع أنك ستسئل عن فتح التهوية لمصعدى الخاص ، ولقد سار كل شيء كما توقعته تماماً .

ثم ابتسم في زَهْوٍ ، وهو يواصل :

— وقبل أن يتناكب الفخر ، وأنت تصوّر أنك قد هزمت
حرّاسي الأربعة ، ينبغي أن تعلم أن هؤلاء الرجال الأربعة ،
الذين حطّمتهم بقبضتيك وقدميك لم يكونوا رجال حراستي
الخصوصيين ، بل مجرد أربعة حرّاس عاديين .. فمهما بلغت
براعتك ، لن يمكنك هزيمة أربعة رجال في قوة ومهارة حرّاسي
الخصوصيين يا مستر (أدهم) .. ولكنك — وعلى الرغم من
ذلك — أثرت إعجابي بشدّة ، مما دفعني لطلب المزيد من
المعلومات عنك ، من (الموساد) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله :

— هل تنتمي إلى (الموساد) ؟

هتف (هنريك) في استكثار :

— (الموساد) ؟! .. كلًّا بالطبع .

وعادت إليه ابتسامته ، وهو يستطرد :

— إن هدف دولة (الموساد) هو : « من التّيسل إلى
الفرات » ، كما يقولون دائمًا ، على الرغم من ثقتي باستحالة
نجاحهم في تحقيق هذا الهدف ، إلا أنني أراه هدفًا شديد
التواضع ، فهذه أنا يتجاوزه كثيرًا ..

وبرقت عيناه على نحو أقرب إلى الجنون ، وهو يرفع
هامته ، ويقول في فخر :

— هدى من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب يا مستر
(أدهم) .. من شرقيّ (روسيا) وإلى غربيّ الولايات
المتحدة ..

ثم مال نحو (أدهم) ، وهو يردف في انفعال حماسي
قويّ :

— إن هدى هو احتلال العالم .. العالم كله يا مستر
(أدهم) .



١٢ — إمبراطور الجنون ..

مصت دقيقة كاملة و (أدهم) يحدق في وجه (هنريك)
في دهشة بالغة ..

كان ما نطق به (هنريك) هو نفسه ما فكّر فيه (أدهم) ،
إلا أن الحقيقة أدهشته ..

وفجأة .. وجد (أدهم) نفسه يهتف في سخط :

— يالك من مجنون !!

برقت عينا (هنريك) في وحشية ، وصاح وهو يلوح بذراعيه
في قوة :

— مجنون ؟! .. مجنون لأننى أسعى لتحقيق حلم زعماء
البشرية منذ الخليقة ؟! .. سترى ما الذى سيفعله هذا المجنون أياها
المصرى .. سترى كيف سأصبح يوماً إمبراطور كوكب الأرض .
هتف (أدهم) في جِدَّة :

— إمبراطور كوكب الأرض ؟! .. بل قل إمبراطور الحمقى
والجانين !.. إن السيطرة على العالم أجمع حلم بعيد المثال أياها
الوغد .. لقد فشل عظماء قبلك ، لأنهم فكّروا في هذا ..

حاول أن تقلّب صفحات التاريخ ، وستجد أنك لست أول من
يتشابه هذا النوع من الجنون ، لقد سبقك إليه
(الإسكندر الأكبر) ، و (نابليون بونابرت) ،
و (أدولف هتلر) ، و

اندفع (فون دريك) يهتف في غضب :

— لم يكن (أدولف هتلر) مجنوناً .. لقد كان عبقرياً ..
كان أعظم زعيم سياسى في العالم .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— هذا واضح أياها الألماني .. وأبرز أمثلة وضوحه هو
انتحار عبقرى هذا ، بعد أن حطّم اقتصاد دولته وجيشها
بحلمه المجنون .

همّ (فون دريك) بالاستكثار الغاضب مرة أخرى ،
ولكن (هنريك) اندفع يقول في جِدَّة :

— فليكن (هتلر) عبقرياً أو مجنوناً ، وليذهب إلى الجحيم
سواء كان هذا أو ذاك .. إننى لست (أدولف هتلر) ،
ولست (نابليون بونابرت) .. إننى (هنريك إدوارد) ،
وسأصبح عن قريب سيّد هذا العالم .
هتف (أدهم) في خنق :

— وكيف تنوى أن تحقق هدفك أيها الإمبراطور المجنون ؟
زفر (هنريك) في قوة ، واستعاد هدوءه فجأة ، وهو
يعتدل قائلاً :

— نعم .. هذا هو السؤال الصحيح .
وبدا الاهتمام الشديد على ملامحه ، وفي نبراته ، وهو
يستطرد :

— إن العالم الآن على حافة بركان أيها المصري ..
(روسيا) و (أمريكا) تتربص كل منهما بالأخرى ..
و (إسرائيل) تتحرش بالدول العربية في الشرق الأوسط ..
و (آسيا) تلتهب بصراعات داخلية .. و (إفريقيا) تحارب
الفرقة العنصرية .. و (أوروبا) تلتهب بصراعات طائفية
وانهيارات اقتصادية ، و (أمريكا الجنوبية) تشتعل
بالانقلابات التي لا تهدأ ولا تستقر .. انظر إلى العالم كله ،
تجده يتناحر ويتصارع ، فيما عدا هنا .. في (كندا) ، على
مشارف القطب الشمالي .. ومن هنا .. من الجهة التي
لا يتوقعها أحد ، سيبدأ غزو العالم .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— إنك لم تجب عن سؤالى بعد .

تجاهل (هنريك) هذا التعليق ، وهو يستطرد في نشوة :
— لن يمكنك أن تتصور عدد الجواسيس التابعين لى ، في
كل الدول ذات المواقع الحيوية ، والاستراتيجية في كل أنحاء
العالم .. حتى أنا أعجز عن معرفتهم ، لولا أنني أحفظ بكل
المعلومات عنهم في أسطوانة كمبيوتر رقيقة ، داخل مخبر سرى
في حجرى .. يكفي أن تعلم أن مرتباتهم الشهرية تكلفني عشرة
ملايين دولار .. هل يمنحك هذا فكرة عن عددهم ؟ .. إن
مهمة هؤلاء الجواسيس هي جمع أكبر قدر من المعلومات عن
تلك الدول ، واستغلال نقاط الضعف والخطأ في أنظمتها
وحكوماتها ، وتأهيل شعوبها لإشعال الفتن والثورات ، حينما
تحين ساعة الصفر .
وأطلق ضحكة شيطانية جنونية ، قبل أن يردف في
انفعال :

— وفجأة .. وفي ساعة أحدها أنا ، تشتعل الثورات في
كل الدول الكبرى ، وستلهم النيران أمنها الداخلى ، وفي نفس
اللحظة ستبعث الشرارة من هنا .. من (إلسمير) ، وسأشن
الحرب على كل النظم والدول ، في الوقت الذي يعجزون فيه
عن قتال ، وصد هجومي ، ولن يمضى وقت طويل حتى
يستسلم الجميع ، وأصبح أن إمبراطور العالم ..

مط (أدهم) شغفيه ، وهو يقول في ازدراء :
— أسخف وأتفه لحظة سمعتها في حياقي كلها .. إن لحطنتك
لا تصلح لاحتلال قرية صغيرة في دولة من دول العالم الثالث .
صرخ (هنريك) في غضب :

— سترى .

ثم لم يلبث أن اعتدل ، وهو يقول في شماتة :

— كلاً .. إنك لن ترى .. لن تكون هنا لترى .

وأشار إلى الحجرة التي يقف فيها ، وهو يقول :

— هل تعرف ما هي هذه الحجرة يا مستر (أدهم) ؟ ..

إننا نطلق عليها اسم حجرة اختبارات التجميد ، وهنا يتم تجميد
أسماكنا قبل تصديرها ، ونحن نستخدم لهذا غاز النيتروجين
السالل ، بحيث يتم التجميد خلال دقيقة واحدة .

وانحنى نحو (أدهم) ، وهو يردف في سخرية :

— هل سبق لك أن رأيت سمكة قطبية مجمدة يا مستر

(أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— إنها ستبدو أجمل منك بالتأكيد .

مط (هنريك) شغفيه ، واعتدل قائلاً :

— إنك لا تصلح للتفاهم يا مستر (أدهم) .
ثم لّوح بذراعه ، قائلاً في انفعال :
— أراهن أنك ستبدو أكثر وسامة داخل قالب من الثلج
يا مستر (أدهم) .

وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يسأله :

— إلى أين تحب أن نصدرك يا مستر (أدهم) ، بعد

تجميدك .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول في بُرود :

— اطمئن أيها ألوغد .. إنك لن تجد الفرصة لذلك .

عقد (هنريك) حاجبيه في غضب ، وأشار إلى رجاله قائلاً

في صرامة :

— فليغادر الجميع حجرة التجميد ، وليستعد الفنيون

لإجراء عملية تجميد خاصة .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال في برود شديد :

— الوداع يا مستر (أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وشاهد الجميع يغادرون

حجرة التجميد ، ويغلقونها خلفهم في إحكام ، وبداله جوفها

شديد البرودة ، ولحيل إليه أنه يرى الموت وهو يزحف نحوه ،
في رداء للجيء ..
رداء تحت الصفر ..

(نهاية الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني)

[الجليد المشتعل]

رقم الإيداع : ٣٦١٩
